حولية كلية التربية - جامعة قطر العدد ١٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ص ص ١٩١ - ٢٤٣

برتراند راسل فيلسوفا ومصلحا ومربيا

إعـــــداد

الدكتور عبدالمجيد عبدالتواب شيحة
أستاذ أصول التربية
كلية التربية - جامعتا قطر والمنوفية

الدكتورة شيخة عبدالله المسند
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة قطر

أولاً . مقدمة

ليس راسل في حاجة إلى تقديم ، فقد ظل قلمه نشطا قرابة قرن من الزمان ، وربت كتبه على المائة كتاب ، واستعصت مقالاته على الحصر ، فغطت كتاباته مدى فسيحا من المعرفة الإنسانية ، ولم يترك مجالا من مجالات التي تهم أبناء هذا الجيل إلا وكان له الرأي فيه والتعليق عليه . وراسل متعدد الجوانب متنوع الأراء ، بحيث يمكن اختيار جانب من جوانبه المتعددة ليمثله في فترة معينة . فهو فيلسوف وضعي ، ومحلل لغوي ، وباحث إمبيريقي ، وعالم رياضى ، وناقد اجتماعي ، وساخر فولتيري ، ومفكر ليبرالي ، وداعية سلام ، ومصلح اجتماعي ، وكاتب شعبي ، وصحفي ، ومرب . ويقول محمد مهران : « فلم يكن راسل فيلسوفا فحسب بل كان رياضيا ومنطقيا وسياسيا وأديبا ورجل تربية وإصلاح اجتماعي »[1] . ونتيجة لهذا التنوع والتعدد في جوانبه أنكر الكثيرون أن له نظاما فلسفيا يصل بين أفكاره ، أو خيطا يربط بين موضوعاته . وكبير الظن أن هذا الإنكار يرجع إلى عدم قراءة نقاده لكل أعماله الكثيرة المتنوعة . ونحن لا ندعي أن لراسل نظاماً فلسفيا بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولكنا نؤكد أنه لم يكن مقطع الأوصال أو متناثر الأفكار ، وأن النزعة الليبرالية الغالبة على آرائه وأفكاره تلم الشعث وتجمع المتفرق ، إن راسل نفسه كان معنيا بإضفاء الوحدة والنظام على كل أعماله ، وحاول توحيد فكره من خلال منطقه الجديد في العلاقات . ولعل هذا يتضح على أفضل نحو من مقالته عن « فكرة النظام » التي نشرت في بداية القرن[2] إن لمنطق راسل في العلاقات جوانب كثيرة ، ولكنه يؤكد فيه على فكرة النظام . فنظرية النظام أحد الأجزاء الأساسية للمنطق والرياضيات ، بل إن الرياضيات تعرف بعلم النظام ، ونستطيع أن نفهم الكثير عن العالم الذي نعيش فيه إذا عرفنا نظام العلاقات الزمانية والمكانية ، ونظام العلة والمعلول ، أي إذا عرفنا التنظيمات والقوانين التي تحكم العالم وأحداثه الجزئية . إن مقالة راسل عن « فكرة النظام » معنية ببيان محاولته للكشف عن النظام الموحد لبناء العالم . وعناية راسل بفكرة النظام متضمنة في كل أعماله : في الكتب الرياضية ، والكتب الفلسفية والمنطقية ، والكتب الاجتماعية والسياسية والخلقية والتربوية . وعلى

سبيل المثال ، يقول راسل فيما يتعلق بالتربية : « ولست ممن يعتقدون في الحرية المطلقة للأطفال ، بل إنني أومن أن الطفل يحتاج إلى نظام ثابت »[٣]

ولقد أحدث راسل ثورات عظيمة في تاريخ الفكر والفلسفة والأخلاق والسياسة والتربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ثورته على السلطة الوالدية وتأكيده لمبدأى الحرية والاستقلال في تربية الأطفال ، وثورته على التوحيد بين الشر واللذة وبخاصة اللذة الجنسية ، ودعوته إلى تحرير الأطفال من مشاعر الإثم والخزي والعار ، وثورته على الولاء القومي الذي يحمل معه واجب الحرب ضد أعداء البلاد ، ودعوته إلى تربية الفرد على نحو يجعله يفكر لنفسه ، ويتخذ قراراً فيما إذا كانت حرب دولته عادلة أو غير عادلة ، وثورته على الملكية الفردية ، ودعوته إلى ملكية الدولة للثروة من خلال تأميم الأعمال والصناعات الكبيرة وإتاحة الفرصة التعليمية لكل راغب في التعليم ، وثورته على التقاليد الدينية التي تعوق التقدم من خلال التحكم في أفكار الفرد ومشاعره واتجاهاته ، وثورته على التربية التقليدية والتقدمية جميعا ، وتأسيسه لمدرسته « بيكون هل » تطبيقا لأفكاره وآرائه التربوية . ولقد أدت تلك الثورات إلى كثير من الصعوبات والضائقات التي واجهها راسل في إنجلترا وأمريكا على السواء . ففي إنجلترا أدى احتجاجه على الحرب العالمية الأولى إلى عزلته عن غالبية أصدقائه . وفي ذلك يقول راسل : « فحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى آمنت أنها حماقة وجريمة تقع مسئوليتها على كل الدول المشتركة فيها من كلا الجانبين ، وتمنيت أن تظل إنجلترا على الحياد ، فلما لم تفعل أخذت في الاحتجاج فوجدت نفسي معزولاً عن غالبية أصدقائي القدامى »[٤]، وفي أمريكا تعرض راسل للنبذ نتيجة لأفكاره الدينية والخلقية . ففي الوقت الذي كان يعمل فيه راسل بجامعة كاليفورنيا عام ١٩٤٠ وجهت إليه دعوة للتدريس بكلية مدينة نيويورك ، وعين أستاذاً للفلسفة ابتداء من أول فبراير ١٩٤١ حتى ٣٠ يونيو عام ١٩٤٢ ، وهو الوقت الذي يبلغ فيه راسل سن التقاعد . وحينما قبل راسل الوظيفة واستقال من منصبه كأستاذ بجامعة كاليفورنيا ، احتج أحد أساقفة الكنيسة الأنجليكانية على تعيينه على أساس أنه أشتهر « بدعايته ضد الدين والأخلاق ، وبدفاعه بوجه خاص عن

الزنا » ، ورفعت أكثر من دعوى في محكمة نيويورك العليا لإلغاء تعيينه فصدر الحكم في ٣٠ مارس عام ١٩٤٠ بالغاء تعيين راسل[٥]، وبذلك أصبح عاطلاً عن العمل ، ملطخ السمعة ، مضغة في الأفواه . إن تلك الآراء الثورية يمكن أن تفسر إهمال الأمريكيين لكتابات راسل أو تجاهلها في القرن الماضى . فالقليل منهم يشير إلى آرائه التربوية ، ونادرا ما يشير أحدهم إلى أعماله العلمية والفلسفية والأدبية . وفي عيد ميلاده الثمانين اعترف راسل ببعض الأخطاء التي وقع فيها وبخاصة فيما يتعلق بموضوعات ثورته وتحرره حيث يقول في سيرة حياته : « ولكني تحت وطأة هذا الفشل مازلت أشعر أن ثمة شيئا من النصر . لعلي أخطات الحقيقة النظرية ، ولكني لم أخطىء مطلقا في الاعتقاد بأن ثمة حقيقة نظرية وأنها تستحق العناء في سبيلها . وظننت أن الطريق إلى عالم إنساني حر سعيد أقصر مما بدا لي ، ولكني لم أخطىء في أن عالما كهذا ممكن وجدير بأن نسعى إلى تحقيقه ، لقد عشت أجرى وراء خيالين : خيال شخصي وخيال اجتماعي ، فأما الخيال الشخصي فهو عنايتي بكل ما هو نبيل وجميل وصقيل . . وأما الاجتماعي فهو أن أذهب مع الخيال في تصور مجتمع مرموق ينمو فيه الأفراد بحرية ولا يوجد فيه ما يغذي الكراهية والحقد والجشع والحسد »[٦] .

ثانياً : حياته وظروف نشأته :

ولد برتراند راسل مساء يوم الأربعاء الموافق ١٨ مايو عام ١٨٧٢ ، وكتبت أمه « كيت أمبرلي » إلى أمها « الليدي ستانلي » تقول في وصف راسل : وزن الطفل $8\frac{3}{4}$ رطلاً ، وطوله ٢١ بوصة ، وهو سمين للغاية وقبيح الهيئة . . إن ثديي يفيضان باللبن الآن . ولكني إذا توانيت في إرضاعه لحظة واحدة أو كان يقاسي من الغازات أو أي شيء آخر فإن الغضب يستبد به ، ويرتفع صوته بالصراخ ، ويرفس ، ويرتعش ، حتي يجاب إلي طلبه أو يزايله ما يعاني منه »[٧] ولاحظ عمه « وليم راسل » أن « الابتسامة الدائمة لا تفارق وجهه » ووصفته جدته « الليدي راسل » بأنه يمتلىء بالفكاهة والمرح »[٨] ثم توالت النكبات على « راسل » فلبدت سحبها سماء طفولته . فقد أصيب أبوه « لورد أمبرلي »

بالصرع ، وأصيب أخوه « فرانك » بالدفتيريا ، ولكنه تغلب على المرض ، غير أن العدوى انتقلت إلى أخته « راشيل » وهي في السادسة من عمرها . وفي أثناء تمريضها أصيبت أمه بالدفتيريا ، فماتت الأم والابنة معا بعد سنة ونصف من وفاة والـده[٩] فانتقـل الأخوان : برتراند وفرانك إلى حضانة جديهما : اللورد جون راسل ـ رئيس الوزراء السابق ـ والليدي راسل التي اشتهرت بالليدي جون .

ومما هو جدير بالذكر أن والد راسل كان صديقا لجون ستيورات مل ، وأخذ عنه الاعتقاد في تحديد النسل ومناصرة حقوق المرأة ، مما اضطره إلى فقد منصبه في البرلمان بسبب مناصرته لتحديد النسل . وكانت أمه تعقد الاجتماعات لمناصرة المرأة ، والدعوة إلى السماح لها بالتمتع بجميع حقوقها . وفي عام ١٨٧٦ ذهبت مع والده إلى أمريكا وكونا صداقات مع الراديكاليين في بوسطن[١٠] ويذكر « ألان وود » أن اللورد أمـبرلي ، والـد راسـل ، أوصى قبل وفاته « بتعيين اثنين من الملحـدين وصيين على ولديه، ولكن وصيته ضرب بها عرض الحائط ، وقامت المحكمة بالوصاية على الطفلين اللذين أرسلتهما إلى جدهما وجدتهما حتى يتكفلا بتربيتهـما »[١١] وعـاش برتراند وأخوه فرانك مع جديهما في « بمبروك لودج » في « ريتشموند بارك » وهو منزل منحه جورج الثالث لجديهما مدى الحياة . وعندما ذهب الأخوان إلى هناك كان جدهما الإيرل راسل في الثالثة والثمانين من عمره ، وتوفى بعد ذلك بعامين فورث عنه فرانك ـ الأخ الأكبر ـ لقب إيرل ، أما جدتهما الليدي راسـل فكـانت تنحـدر من أسرة استكتلنـدية حازمـة تعتنق المـذهب الـبرسبتـيري أو المشيخي ، وكـانت تستمتع بالفكاهة والمرح بالرغم من آرائها المتزمتة في الأخلاق والسلوك . ولقد صدمت تلك السيدة الفكر التقليد بتحولها إلى المذهب اليوناتاري أو التوحيدي ، الذي ينكر عقيدة التثليث في اللاهوت المسيحي ، وأيدت الحكم الـذاتي في ايرلنـدا ، واعـترضت على الحـروب الاستعـمارية البريطانية[١٢] . ويذكر برتراند راسل أن جدته كانت متعلمة وفقا لمعايير عصرها « فهي تتكلم الفرنسية والألمانية والإيطالية بغير خطأ ولا لكنة ، وعرفت شكسبير وملتون وشعراء القرن الثامن معرفة شخصية وثيقة »[١٣] ولقد

تعلم راسل اللغة الألمانية من جدته ومن المربيات الألمانيات في نفس الوقت الذي تعلم فيه الإنجليزية . وقد أخذ برتراند عن جده اللورد جون راسل محبة الحرية بجميع صورها . يقول راسل في وصف جده : « إنه ينتمي إلى نمط المصلح الأرستقراطي . . . نمط يعبد إلهة تسمى الحرية »[١٤] ويضيف أنه في أواخر أيامه « أصبح معتدلا في تحرره إلا في أمر واحد هو كراهيته للقيود الدينية »[١٥] ويعترف راسل بتأثره العميق باتجاهات جده التحررية إذ يقول : « إنه (يريد جده) غرس حب الحرية المدنية والدينية في نفسي غرسا عميقا »[١٦] .

وبالاضافة إلى العناصر الليبرالية السابقة ، نشأ برتراند وأخوه فرانك في ظل نظام بيوريتاني صارم يغلب عليه التزمت والتقشف والتقوى ، ويقول راسل في وصفه : « كان الجو العام في المنزل جوا من التقوى والتقشف والتزمت . فكانت تعقد الصلاة العائلية في كل يوم في الساعة الثامنة صباحا ، وكان الطعام في بساطة الطعام الإسبرطي على الرغم من وجود ثمانية من الخدم في المنزل ، وحتى هذا البسيط كان إذا حسن شيئاً ما يستكثر على الصبية ، فمثلا لم يكن يسمح لي ، إذا كان على المائدة فطيرة من التفاح وفالوذج من الأرز أن أجمع بينهما ، بل يجب أن اكتفي بفالوذج الأرز . وكان الحمام البارد على مدار السنة موضع إصرارهم . . وكان ينظر إلى الكحول والتبغ بغير ارتياح . . فلا قيمة إلا للفضيلة وحدها على حساب العقل والصحة والسعادة »[١٧] . ويذكر راسل أنه لم يأكل الشيكولاته إلا في أيام الآحاد ، ولم يسمح له بأكل البرتقال لأنهم اعتقدوا أن البرتقال مضر بالأطفال . وفي أحد الأيام تناول كل فرد في الأسرة طبقا عليه برتقالة ، وتناول برتراند طبقا وقال : « طبق ولا شيء عليه » فأثار ضحك الجميع ، ولكن شيئا لم يتغير[١٨] ونتيجة لهذا الجو المتزمت نشأ راسل وحيداً خجولاً ، نافراً ، يعتزل العالم ، ويلوذ بالصمت ، وينفق وقته في التأمل والتفكير . يقول راسل : إن أسعد أوقات طفولته ما قضاها في الحديقة منعزلا ، وفيما بعد كانت الرياضيات تسليته الوحيدة[١٩] . ويذكر « ألان رود » أن الرغبة في معرفة المزيد من الرياضيات هي التى أنقذت راسل من الانتحار أثناء مراهقته[٢٠] وفي سن الحادية عشرة وقعت له واقعة أثرت في تطوره العقلي اللاحق

تأثيراً عميقا . فقد شرع أخوه « فرانك » في تعليمه رياضيات إقليدس ، وبدأ فرانك بالتعريفات ، ولما انتقل إلى البديهيات قال لبرتراند : إن هذه البديهيات لا يمكن البرهنة عليها ، وإنما يجب التسليم بها . فقال برتراند : لماذا أسلم بهذه الأشياء إذا كانت لا تبرهن ؟ فأجابه أخوه قائلا : على كل حال إذا لم تفعل فلا يمكن أن نستمر . وبالرغم من شك راسل في هذه الأمور « استمر في دراسة الرياضيات لأنه عشقها وانشغل بتطبيقها على العالم الطبيعي »[٢١] . إن تلك الشكوك التي أثارها عقل راسل ، الذي لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، بصدد صحة الأسس التي تقوم عليها الرياضيات ، سيطرت على حياته من ذلك اليوم حتى الانتهاء من تأليف كتابه « مبادىء الرياضيات» . وكانت الخطوة التالية التي خطاها راسل في طريق الشك هي فحص الحجج التي تستند إليها تعاليم الدين فيما يتعلق بوجود الله ، وخلود الروح ، وحرية الإرادة ، وعقد االعزم على أن يتجاهل ما يريد الإيمان به ، وأن يجعل العقل وحده نبراسا له . فأنكر وجود الله أولاً ثم أنكر خلود النفس وحرية الإرادة . ويذكر راسل أنه لم يخبر أحدا بما يفكر فيه ، واعتاد أن يدون خواطره في تلك الموضوعات بحروف إغريقية في صحيفة يحتفظ بها سراً حتى لا يستطيع أحد أن يعرف محتواها[٢٢] .

إن الذين يعتقدون أن للسنوات الأولى من حياة الإنسان تأثيراً حاسما في مستقبل حياته اللاحقة يجدون في حياة راسل دليلا مؤيدا لصحة ما يذهبون إليه . فقد كانت كتاباته اللاحقة عن الدين والأخلاق والتربية ترجع ـ إلى حد كبير ـ إلى ردود أفعاله ضد نشأته البيوريتانية المتزمته في مجالي الأخلاق والسلوك . يقول راسل : « كنت أعشق الرياضيات ، بينما هي عندهم متهمة لأنها غير ذات مضمون أخلاقي . ثم أخذت في معارضة الآراء اللاهوتية التى تعتنقها أسرتي ، فلما شببت أخذت أزداد شغفا بالفلسفة التي كانوا يلوون عنها كشحاً ، وكانوا لا يسأمون كلما أثير موضوعها أن يرددوا قولهم : ما العقل ؟ لا عبرة . ما المادة ؟ لا تبال[٢٣] وحينما اعترضت جدته الليدي جون على زواجه من « أليس بيرسال سميث » ـ زوجته الأولى ـ واستخدمت كل وسيلة ممكنة لمنع هذا الزواج ، قرر رسال الزواج من أليس ، وعقد القرآن في ١٣ ديسمبر عام ١٨٩٤ في بيت اجتماع

الأصدقاء في لندن . ويذكر راسل أن زواجه من أليس واستقراره العاطفي أعانه على الفراغ من رسالته الهندسية ، وهي الرسالة التي عرفت باسم « أسس الهندسة » وحصل راسل بموجبها على زمالة كلية ترينتي[٢٤] .

ويقول آلان دود : « ويجدر بنا أن نسجل لزوجة راسل الأولى بالعرفان دينا يطوق عنق الأجيال القادمة ، ذلك أنه قام بتأليف الكتاب الذي يعتبر عادة أحسن مؤلفاته في خلال تلك الفترة التي كان يعيش معها تحت سقف واحد . فقد كانت زوجته توفر له الضرورات الخارجية اللازمة لتفكيره الخلاق مثل توفير حجرة مكتب في بيت منتظم الإدارة حيث يستطيع أن يعمل دون انقطاع »[٢٥] . ولعل « وود » يقصد كتاب راسل « مبادىء الرياضيات » الذي فرغ منه في عام ١٩٠٢ ونشر في عام ١٩٠٣ . وبالرغم من رفض راسل للكثير من تعاليم جدته فقط ظل بعضها يلازمه طوال حياته ، وبخاصة تلك الفكرة التي مؤداها أنه ليس أفضل من الشجاعة الأدبية ، التى تتمثل في الدفاع عن قضية لا تروق الآخرين . ويعترف راسل نفسه أن لجدته تأثيرا كبيرا في نظرته إلى الحياة فقد راقه « شجاعتها ، وروحها العامة ، واحتقارها للتقاليد ، ولا مبالاتها برأي الأغلبية »[٢٦] .

ولا ينبغي أن تصرفنا محاولة تفسير الكثير من نبوغ راسل في ضوء نشأته وظروف حياته الأولى عن العوامل الأخرى الكامنة في شخصيته ، وتخطيطه لحياته بعناية ودقة لا تقل عن عناية « كانط » ودقته في تخطيط حياته ، وتأثير من عاصرهم من الزملاء والأصدقاء والأساتذة في جامعة كمبردج ، وغيرهم ممن قرأ لهم وتأثر بأفكارهم ، وتأثير أحداث عصره بصفة عامة . وفيما يلي بيان لتلك العوامل التي كان لها تأثير كبير في آرائه وأفكاره اللاحقة .

كان الذكاء والشك من أهم العوامل الكامنة في شخصية راسل ، وكان تشككه يهدف دائما إلى الوصول إلى حقائق الأشياء . ولا أدل على ذلك من تلك الواقعة التى وقعت له ، وهو طفل في الرابعة من عمره ، مع عمته « أجاثا » التى أخذته إلى شاطىء البحر في « برود ستيرز » . وحاول راسل انتزاع حيوان

البطلينوس الصدفي الملتصق بالصخور فباءت جهوده بالفشل ، فسأل عمته : هل يفكر حيوان البطلينوس ؟ فأجابت : لست أدري ، فرد عليها برتراند بقوله : « إذن يجب أن تتعلمي » وحينما أخبر راسل أن الأرض كروية شك في هذا وبدأ يحفر في الحديقة ليتأكد من ذلك[٢٧] .

ويذكر ألان وود أنه حينما أخبر راسل ، وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ، أن الملائكة بجواره تراقبه أثناء نومه فأجاب إن بصره لم يقع عليها قط . ولما قيل له : « إن الملائكة تختفي في نفس اللحظة التي يفتح فيها عينيه ، قرر أن يحتال عليها ويغافلها بأن يقفل عينيه قفلاً محكماً ثم يمد يده حتى يمسكها على حين غرة »[٢٨] .

وحينما قرأ راسل في أحد كتب جده بعنوان « حكايات أيرلندا التاريخية » أن بعض الرجال ذهبوا إلى أيرلندا قبل أن يغمر الطوفان العالم فغرقوا جميعا . ولكن عقله المتشكك تساءل على الفور : وكيف عرف المؤلفون مغامرات هؤلاء الرجال ؟ ثم ترك الكتاب باشمئزاز . إن تلك النزعات الشكية التي تدل على ذكاء راسل وهو لا يزال طفلا كانت أساسا لاتجاهاته الشكية اللاحقة في الرياضيات والمنطق والفلسفة والدين . ويتحدث راسل عن نفسه قائلا : « إنني أحب الدقة ، وأوثر الفواصل القاطعة ، وأكره غموض الضباب . ولأمر ما لا أدعي أني أفهمه ، اعتقد جانب كبير من الناس بسبب هذه الخاصية في أنني شخص بارد مجرد من العاطفة ، فربما كان المفروض عندهم أن من يشعر بعاطفة ما لابد أن يكون ممن يستيسيغون خداع أنفسهم ، وممن يؤثرون العيش في جنة الأبله . . . على زعم أنه لا يوجد نوع آخر من الجنان ، وهذا رأي لا استطيع أن أرتاح إليه ، إذ كلما ازداد شغفي بأمر ما ازدادت رغبتي في أن أعرفه على حقيقته مهما تكن غير مستساغه ولا مرضية »[٢٩] . وتؤيد « بياتريس وب » هذا الوصف عن راسل حيث تقول : « كان أثناء الكلام يخرج الألفاظ بوضوح يكاد يكون مفتعلاً ، ويعبر عن نفس بطريقة محددة دقيقة . . ولكنه جسور من الناحية الفكرية يحطم المقدسات ، ويكره المواضعات الدينية والاجتماعية ، ويتشكك في

العـواطف . . . وهـو يتـوفر على تشريح الأشخاص وتحطيم القضايا والخطوط العريضة ، والخطوط العريضة التى تحد عقله وشعوره خطوط واضحة صلبة دائمة »[٣٠] .

وتقدم لنا « بياترس وب » أيضا صورة واضحة لنظام راسل في حياته اليومية تقول فيها : « كان راسل وزوجته أليس يتناولان الفطور معا في حجرة المكتب في الساعة التاسعة . ثم ينصرف راسل إلى دراسة الرياضيات حتى الثانية عشرة والنصف ، ثم يتناوبان القراءة المشتركة بصوت عال لمدة ثلاثة أرباع ساعة . ثم يقضيان ربع ساعة في التنزه في الحديقة ، ويتناولان الغداء في الواحدة والنصف ، وكـان راسـل بعد الغداء يلعب الكروكيه مع « لوجان بيرسال سميث » ، ثم يتناولان الشاى في الرابعة والنصف ، ينصرف بعدها راسل إلى دراسة المزيد من الرياضيات حتى الساعة السادسة ، ثم يقرأ بصوت عال مع أليس حتى السابعة والنصف ، ويتناول العشاء في الثامنة يتلوه حديث عام مع عائلة وب يستمر حتى التاسعة والنصف ، ثم يعود إلى القراءة بصوت عال لمدة ساعة حتي يحين موعد إطفاء الأنوار في الساعة العاشرة والنصف »[٣١]، ولقد اتبع راسل شيئا من هذا النظام وهو في سجن بركستون بسبب مقالة نشرها عن الحكومة الإنجليزية في يناير عام ١٩١٨ . يقول ألان وود : « وبطريقته المنظمة التي عرف بها ، نظم راسـل روتـين حياتـه اليومية في السجن ، فخصص أربع ساعات يقضيها في الكتـابة عن الفلسفة ، وأربع ساعات أخرى للقراءة فيها ، ثم أربع ساعات أخرى في قراءات عامة متنوعة »[٣٢] .

ولم يتلق راسـل تعليمه الأساسي في المدارس النظامية ، وإنما تلقى تعليما خاصا بمنزل أسرته على يد المربيات الألمانيات والسوسريات ، وتعلم الرياضيات على يد أخيه فرانـك ، وأثـار فيه عمه « رولو راسل » الاهتمام بالعلم . يقول راسل : « كان لعمي رولو بعض الأهمية في نموي المبكر لأنه كان غالبا ما يحدثني عن المـوضـوعـات العلمية »[٣٣] واستـطاع راسـل أن يقـرأ للرياضيين والعلماء والفلاسفة الألمان والفرنسيين والطليان في لغاتهم الأصلية ، ولكنه كان بحاجة إلى رفع مستوى إلمامه باللغات القديمة ، حتى يتمكن من الحصول على الشهادة

الثـانوية العامة من جامعة كمبردج . ويبدو أن جدته أرسلته إلى معهد لتعليم الإغـريقية واللاتينية ، فاكتسب راسل في عام ونصف معرفة باللغات القديمة وأدابها يستغرق الطالب العادي في تحصيلها أكثر من أربعة أعوام . وحينما تقدم لامتحان القبول بالجامعة نجح نجاحاً باهراً[٣٤] والتحق راسل بكلية ترينتي في جامعة كمبردج في اكتوبر عام ١٨٩٠ وهو في الثامنة عشرة من عمره فألفى نفسه في عالم جديد من البهجـة اللا نهائية ، يشجع على الفكر ، ويعين على تنمية الذكاء . ويقول راسل في وصف بيئة كمبردج « فلما التحقت بجامعة كمبردج في سن الثامنة عشرة وجدت نفسي فجأة وبشكل مثير بين قوم يتكلمون نوعا من اللغة طيبا في مسمعي ، فكانوا إذا قلت شيئا أعتقده حقا لا يحملقون فيّ كأنني مجنون ولا ينصرفون عني كأنني مجرم . . فلما وجدت نفسي في عالم يقدر بالذكاء ويظن بالتفكـير الواضح ظنا حسنا شعرت بنشوة السرور . لقد قيل إن من لم يتعلم تعليماً نظامياً يجد صعوبة في التكيف مع العالم ، أما أنا فلم أجرب هذا إذا قد ناسبتني بيئة كمبردج كمناسبة القفاز للكف »[٣٥] .

وفي كمبردج درس راسل الرياضيات في ثلاثة الأعوام الأولى من الجامعة ثم درس الفلسفة في السنة الرابعة . ولقد كانت كمبردج مهمة في حياة راسل لأنها هيأت له فرصة التعرف على عدد كبير من الأصدقاء النابهين ممن ذاع صيتهم في داخل انجلترا وخارجها ، وكان لهم تأثيرهم الكبير في أفكاره اللاحقة مثل الفريد هوايتهيد ، ومـاك تارجات ، وتشارلس سانجر ، ولويس ديكنسون ، وجورج مور ، وروجـر فراي . يقـول رسال : « وكونت في أول فصل دراسي أصدقاء الحياة ، ولم أعد أضطر لاحتمال الوحشة التي لا تكاد تحتمل والتي احتملتها في أيام المراهقة »[٣٦] . ولم يرق لراسل التعليم الأكاديمي الذي تلقاها في كمبردج سواء في الرياضيات أم في الفلسفة . يقول راسل : « إن معظم ما تعلمته في الـرياضيات بدا خاطئـا ، وقضيت سنوات لأنسى ما تعلمته »[٣٧] . ويقول في مكان آخر : « كان من الواضح عندي أن براهين القضايا الرياضية التي علمنيها أساتذتي خاطئة »[٣٨] .

ولم يكن حظ الفلسفة في كمبردج بأفضل من حظ الرياضيات في نظر راسل . يقول ألان وود : « درس راسل الفلسفة في آخر سنة له في كمبردج . وكانت أولى نتائج هذه الدراسة أن اتجه تفكيره الوجهة الخاطئة . فقد أغراه أساتذته ـ بالاشتراك مع ماك تارجات ـ بالاعتقاد في أن التراث البريطاني في الفلسفة الذي ينهض على الملاحظة والتجربة تراث يجانبه الصواب ، وأن هناك حكمة تفوقه في فلسفات كانط وهيجل ، وبرادلي ، فانصرف راسل عن المذهب التجريبي ومال إلى الفلسفة المثالية »[٣٩] . ويحكي راسل تجربته مع الفلسفة المثالية قائلا : « ففي كمبردج تعرفت على فلسفة هيجل . . . ولقد ارتحت إلى هذه الفلسفة حينا من الزمن ، إذ بدت لي من خلال شروح أنصارها ، وبخاصة شروح ماك تاجارت . . ساحرة وقابلة للبرهان . . ولكني على كل حال ، انتقلت في لحظة تهور واندفاع من الأتباع إلى الأستاذ (يريد هيجل) فوجدته خليطا من الاضطرابات . . ولهذا تنكبت طريقة الفلسفة »[٤٠] . ولم يبدأ راسل عمله الأصيل سواء في الرياضيات أم في الفلسفة إلا بعد تخرجه في الجامعة ، وزيادة صلاته العلمية والفلسفية مع علماء عصره ، ولقد أقر راسل بدينه العقلي إلى عدد كبير من العلماء وبخاصة في كتابه « صور من الذاكرة » فلقد قرأ كتاب جورج كانتور ، الذى بسط فيه نظرية الأعداد اللا نهائية ، وقرأ كتاب فريجه « ترقيم الأفكار » الذي أعلن فيه أن الرياضيات امتداد للمنطق ، وأخذ راسل عن هـ . ويلز فكرة لا موضوعية الخير والشر ، وعن جيمس ميل فكرة تركيز الإنتاج في أيدى جمعيات اختيارية للعمال ، لقد كانت تلك الأمانة العلمية إحدى القيم الأساسية التي تعلمها راسل في جامعة كمبردج حيث يقول : « ولكن العادة التي تعلمتها في كمبردج هي الأمانة العقلية . إن هذه الفضيلة لم توجد فقط بين أصدقائي ، وإنما وجدت كذلك بين أساتذتي »[٤١] .

وكان للحرب العالمية الأولى تأثير حاسم في تبدل آراء راسل وتغير اهتماماته العقلية . فلقد ظل راسل معنياً بالرياضيات والمنطق حتى كانت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فانصرف إلى دراسة المشكلات الاجتماعية ومسائل الحرب والسلام . يقول راسل : « تنقسم حياتي انقساما فاصلا محددا إلى فترتين :

ما قبل وما بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى التى نفضتني نفضة أخرجتني من كثير من ميولي السابقة ، وجعلتني أعيد النظر في عدد من المسائل الأساسية :[٤٢] لقد كان راسل يعتقد أن الحرب العالمية مفروضة فرضاً على أناس عازفين عنها بفعل حكومات ماكيافيلية لا تفكر إلا في مصالحها وكرامتها ، ولكنه اكتشف فيما بعد أن الرجل العادي والمرأة العادية كانا مبتهجين لوقوع الحرب مما دفع راسل إلى تغيير أفكاره عن الطبيعة الإنسانية ، يقول راسل : « إنني كنت في ذلك الحين على جهل تام بالتحليل النفسي ، ولكن ملاحظة الجماهير المتعطشة للقتال قد أوحت إلى بأفكار تتسق كثيرا مع أفكار المحللين النفسيين . . لقد افترضت أن الشائع أن يحب الآباء أبناءهم ، ولن الحرب أقنعتني أن ذلك استثناء ، وافترضت أن الناس يحبون المال أكثر من أي شيء آخر ، ولكني اكتشفت أنهم يحبون الهدم أكثر ، وافترضت أن رجال الفكر يحبون الحقيقة ، ولكني اكتشفت أن أقل من ١٠٪ منهم يؤثرون الحقيقة على الشهرة »[٤٣]، ومن ثم أكد راسل فكرته المبدئية عن الارتباط بين السياسة والنفسية الفردية ، وكرس كل جهوده لمنع الحرب ، وإقناع الناس بضرورة حل مشاكلهم سلميا . فألقى الخطب الكثيرة والمحاضرات ، ونشر كتابه « مبادئ إعادة بناء النظام الاجتماعي » عام ١٩١٦ - ذلك الكتاب الذي يشتمل على نظريته السياسية ، ويعتمد على فكرة جوهرية مفادها أن للدوافع تأثيراً في حياة الإنسان يفوق تأثير أهدافه الواعية . ولقد باءت جميع جهود راسل بالفشل في ميدان الدعوة إلى السلم . ولعل هذا يبدو من قوله : « فلما انتهت الحرب رأيت أن كل ما فعلته هباء . . فلم أحفظ روحاً واحدة أو أقلل من الحرب دقيقة »[٤٤]، ولكن هذا الفشل لم يمنع راسل من مواصلة الدعوة إلى السلام ، ونزع الأسلحة النووية ، ومناصرة قضايا التحرر في كل مكان ، حتى آخر لحظة في حياته . يقول محمد مهران : أن آخر ما كتبه راسل في حياته وقبل وفاته بيومين « تلك الرسالة التي أرسلنا إلى المؤتمر البريطاني العالمي الذي كان منعقداً بالقاهرة في أول شهر فبراير عام ١٩٧٠ ، والتي كان يندد فيها بإسرائيل ويطالب بانسحابها من الأراضى العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ . وقد توفى راسل في اليوم الثاني من شهر فبراير عام ١٩٧٠ »[٤٥].

ثالثاً : بعض جوانب فلسفته النظرية :

تشـابهت الرحلة الفلسفية لراسل وأفلاطون في غير جانب من جوانبها ، كالاهتمام بالمنطق والرياضيات ، والعناية بالفضائل الشخصية والمدنية ، والرغبة في البلوغ إلى اليقين في المعرفة الإنسانية ، والاستغراق في البحث عن الحقيقة ، والإقرار في نهاية المطاف بالعجز عن بلوغها . وكان كلاهما أرستقراطيا وصاحب موقف عقلي من المعتقدات الدينية . ولقد بدأ راسل حياته الفلسفية مثاليا ، إذ تعـرف في كمبردج على فلسفة هيجل ، وتعلم منه أن الزمان والمكان ليس لهما حقيقة ، وأن المادة وهم ، وأن العالم عقل . ثم أنكر هذه الفلسفة وآمن بفلسفة افلاطون المتأثرة بصوفية فيثاغورس . يقول راسل : « ووجدت الغبطة والقناعة حينـا من الزمن في مذهب مستمد مع شيء من التعديل من أفلاطون ، هذه الفكرة الأفلاطونية التي قبلتها . . هي التى تقول بأن هناك عالماً من المثل لا يطرأ عليه التغير وليس له زمان ، وأن العالم الذي نراه إن هو إلا صورة ناقصة مشوهة لهذا العـالم المثـالي ، وأن الرياضيات حسب دعواه إنما تتعلق بهذا العالم المثالي فتكتسب بذلـك دقة وإحكاما وكمالا . . . فراقتني هذه الصوفية الرياضية التي استمدها أفلاطون من فيثاغورس ، ولكني وجدتني مضطرا آخر الأمر إلى رفضها »[٤٦] .

كما قرأ راسل كانط واعتمد عليه في مقالته عن « أسس الهندسة » التى بدأها بالسؤال : « كيف تكون الهندسة ممكنة » ولقد اعترف راسل بتأثير كانط في رسالته الهندسية حيث يقول : « كانت نظريتي الهندسية كانطية أساساً »[٤٧] ثم تغيرت آراء راسل تحت تأثير زميله جورج مور ، وأصبح يعتقد في كل ما لا يعتقد فيه المثـاليون . وحين تخلص راسل من المثالية اعتنق المذهب الواقعي . وتكشف كتـابات راسل بصفة عامة عن انتمائه إلى المعكسر العقلي بقيادة أفلاطون وإلى المعسكر الإمبيريقي الواقعي بقيادة جون لوك ، ودافيد هيوم ، وجون ستيورات مل . ولعل هذا ما حدا « برايل » إلى انتقاد راسل قائلا : « تنقل راسل كالبندول من النزعة الترانسندنتالية إلى النزعة الطبيعية ، ومن الأفلاطونية إلى الإمبريقية .

فالنزعة الأفلاطونية غلبت عليه في شبابه ، وجاءت النزعة الإمبريقية في وقت متأخر»[٤٨] .

لقد درج راسل على تغيير آرائه وأفكاره ومعتقداته ، على نحو يربك القارىء الذي يحاول تتبعه في تسلسل زمني . ومن الجدير بالذكر أن أوكونر[٤٩] ومهران[٥٠] أشارا إشارات ذكية إلى بعض المواضع التي تغيرت فيها آراء راسل . ولم ينكر راسل هذا التغيير ، بل اعترف به ، واعتبره دليلا على نموه الفلسفي ، ووضع كتابا بعنوان « نموي الفلسفي » سجل فيه ما طرأ على فكره من تغير . إننا نعتقد أن هذا التغير يرجع إلى رغبة راسل في الوصول إلى الحقيقة ، واستعداده الدائم لإعادة النظر فيما يقول إن راسل لم يكن كغيره من أصحاب المذاهب الفلسفية ، الذين يستمسكون بموقف طيلة حياتهم دون أن يجروا عليه أية تعديلا ، بل كان على استعداد لتمزيق أفكاره بنفس الضراوة التى يمزق بها معظم الفلاسفة أفكار منافسيهم . وبالرغم مما طرأ على أفكار راسل من تغير فلم يتغير منهجه في التحليل الفلسفي ، ولم تتغير بعض معتقداته المنطقية . يقول راسل : « مازلت أستبقي جانباً كبيراً من معتقداتي المنطقية التي كنت اعتقدها منذ خمس وخمسين سنة (كتب هذا في عام ١٩٥٦) فمازلت مقتنعا أن العالم مصنوع من عدد ضخم من الأجزاء . . ومازلت أرفض كلية حجة هيجل بأن الحقيقة كلها ذات طابع عقلي ، ولا أظن أن في مقدور امرىء أن يزعم ماهي الحقيقة ، وكيف يجب أن تكون . . ومازلت أعتقد أن ما يمكنا أن نعرفه عن العالم الخارجي وعن أفكار الأحياء ومشاعرهم إنما نعلمه بطريق العلم الطبيعي ، ومازلت أعتقد أن ما يمكننا أن نعلمه عن العالم إنما يأتي لنا علمه بالملاحظة لا بالحجج عما يجب أن يكون عليه »[٥١] .

وبناء على ما تقدم لا نستطيع أن نلخص فلسفة راسل في مساحة محدودة ، وقد يكون من غير المقبول أن نفعل ذلك ـ لو كان ممكنا ـ في دراسة تربوية ، لأن كثيراً من جوانب فلسفته قليل الصلة بفكره التربوي . ومن ثم سوف نقتصر على مناقشة فلسفة راسل في التحليل المنطقي واللغوي ، ونظرية المعرفة باعتبارها أهم ما يميز محاولة راسل في البحث عن اليقين ، ثم نناقش فكره العلمي كما يتمثل

في الاجتماع والسياسية والأخلاق باعتباره وسيلة لخلق المجتمع السعيد ، يقول راسل : إن حياته منذ مطلعها كانت مركزة على غرضين : فمن ناحية أراد أن يكتشف أن كان من الممكن معرفة شيء ، وأن يعمل من الناحية الأخرى ما يمكنه عمله لخلق عالم أسعد . ولقد ظل مشغولا بالغرض الأول حتى بلغ الثامنة والثلاثين من عمره ، وأنفق بقية حياته محاولا تحقيق الغرض الثاني . أما الفرض الأول فقد قاده إلى دراسة الرياضيات والمنطق والفلسفة ، وأما الغرض الثاني فقد قاده إلى دراسة المشكلات الاجتماعية والسياسية والخلقية[٥٢] .

(أ) فلسفة التحليل المنطقي واللغوي :

أسهم راسل بنصيب وافر في التمهيد لفلسفة التحليل المنطقي ، التى أعانت على نمو حركة التحليل الفلسفي في إنجلترا وأمريكا ، وامتد أثرها إلى ميدان فلسفة التربية . ولقد تأثر بطريقته في التحليل كثير من المربين مثل بيترز Peters وهرست Hirst في إنجلترا وشيفلر Scheffler وأوكونر O'Connor في أمريكا ، واستطاع هؤلاء المربون تحديد طابع الكتابة في فلسفة التربية بحيث تقتصر على التحليل الفلسفي واللغوي للمصطلحات المستخدمة في التربية . ولقد استخدم راسل التحليل الفلسفي باعتباره تبريرا للمعتقدات وتعريفا للمصطلحات . فهو لا يقبل قضية أو حكماً ما لم توجد أنماط تعبر عن كيانات معينة ، فلا توجد مكاتب ما لم نعتقد في وجود أشياء فيزيائية ، ولا توجد معارك ما لم يوجد أشخاص يخوضونها وأمكنة وأزمنة تحدث فيها ، ولا توجد أعداد صحيحة وأعداد صماء ما لم توجد أعداد ، ولا توجد زوايا حادة أو زوايا قائمة ما لم توجد زوايا ، ولا توجد مثلثات أو مربعات ما لم توجد أشكال هندسية ، وهكذا . وينظر راسل إلى كل مشكلة فلسفية باعتبارها مشكلة تحليل يبدأ فيها بالنتائج ويرجع إلى المقدمات . فالتحليل الفلسفي في رأيه[٥٣] يبدأ بطائفة من البيانات الشائعة التي يكشف الفحص عن غموضها وتعقدها وعدم استقلال عناصرها منطقياً . ومن خلال التحليل يقلل الإنسان من كمية البيانات ، ويختصرها في صورة مقدمات أو قضايا ، وينظم تلك القضايا في شكل قياس

يستنتج منه طائفة من النتائج . وتختلف هذه النتائج عن البيانات السابقة من حيث البساطة والدقة والخلو من الحشو . ثم ينظر في درجات اليقين المتضمنة في النتائج ، فإذا تبين أن بعض النتائج محل شك ، شك في البيانات التي استمدت منها تلك النتائج . ولقد استخدم راسل هذه الطريقة في الرياضيات أولاً ثم طبقها على العالم الطبيعي ثانيا . يقول راسل : « وجهني هوايتهد إلى استخدام (نصل أوكام) لاختزال الكيانات الكثيرة إلى أقل عدد ممكن . فاستخدمت الطريقة في الرياضيات أولا ثم طبقتها على العالم الطبيعي »[٥٤] . إن هذا الاختزال يؤلف جوهر التحليل عن راسل ، فعلى خلاف هيجل وبرادلي اللذين يطيب لهما دراسة كل شيء في صلته بغيره من الأشياء يميل راسل إلى تناول الأشياء بمعزل عن غيرها من الأشياء . وحينما طبق راسل هذه الطريقة في دراسته لمشكلة المعرفة ، انتهى إلى عدم ضرورة التمييز بين الذات والموضوع ، وحينما طبقها في دراسته لمشكلة الوجود ، انتهى إلى عدم ضرورة التمييز بين العالم المادي والعالم العقلي ، فهما مجموعة من الأحداث ترتبط بقوانين علية ، فالمادة مجموعة أحداث ترتبط بقوانين علية هي القوانين العلية الطبيعية ، والعقل مجموعة أحداث ترتبط بقوانين علية هي القوانين العلية النفسية ، وبذلك تكون الحادثة عقلية ومادية في وقت واحد . ولقد استنتج راسل من دراسته للرياضيات أن التحليل الرياضى يمكن اختزاله إلى منطق رمزي ، وأن المعرفة الرياضية معرفة لفظية . ولا غرو في ذلك فالمنطق الصوري معنى بالعلاقة الصورية كالرياضيات سواء بسواء . فالمنطق يقرر أنه إذا كانت قضية معينة صادقة كانت قضية أخرى صادقة أو كاذبة ، بقطع النظر عن الشيء الواقعي الذي تشير إليه القضية . وهذا عين ما يحدث في الرياضيات ، إذ يمكن افتراض فرض معين ثم استنباط ما يترتب عليه من نتائج . إن راسل لم يوافق على المنطق الرياضى لفيثاغورس وأرسطو وليبنتز وكانط وهيجل وبرادلي ، وانتقد نظرية بينو Peano التي حاولت إثبات أن نظرية الأعداد الطبيعية يمكن اشتقاقها من عدد من المفاهيم والقضايا[٥٥] .

إن راسل يعتقد أن فكرة العدد ليست بسيطة ، وإنما هي فكرة مركبة يمكن تحليلها إلى عناصرها البسيطة ، وهو لا يستخدم العد في تعريف العدد ، لأن الأعداد نفسها تستخدم في العد ، ولا يتطرق العد إلى الأعداد اللانهائية . فالعد يفترض أن تكون الموضوعات المعدودة متناهية ، ولذلك مال بعض الفلاسفة إلى الاعتقاد في أن الأعداد اللامتناهية ليست أعدادا . أما راسل فقد حاول أن يعرف العدد على نحو يوافق استخدامه في الحياة اليومية عن طريق الفئات والعلاقات . ومعنى ذلك أن طريقته في اختزال الرياضة إلى المنطق استبعدت الأعداد وأقامت مقامها الفئات . وهذا من غير شك موافق لنصل أوكام أو مبدأ الاقتصاد . فتحديد معنى العدد يتم على أساس أنه فئة فئآت ، إذ تضم جميع الأزواج في فئة ، وجميع الثلاثيات في فئة ، ونحصل على فئآت أو مجموعات مختلفة . وكل فئة أو مجموعة هي فئة أعضاؤها مجموعات أو فئآت ، وبذلك تكون كل فئة فئآت . فالفئة المؤلفة من جميع الأزواج هي فئة فئآت ، وكل زوج فئة من عضوين ، وفئة الأزواج فئة لها عدد غير متناه من الحدود لأنها تنطبق على كل فئة تتألف من عضوين . يقول راسل : « أعرف العدد ٢ بأنه فئة كل الأزواج ، والعدد ٣ بأنه فئة كل الثلاثيات وهكذا . والزوج يعرف بأنه فئة يوجد بها عضوان مثل س ، ص وهما غير متماثلين ، فإذا اعتبرنا ع عضوا في الفئة فيجب أن يكون مماثلا للعضوين س ، ص . والعدد بصفة عامة هو فئة جميع الفئات المشابهة لذلك العدد »[٥٦].

ويمكن الإجابة عن السؤال الخاص بكيف نعرف أن مجموعتين تنتميان إلى فئة معينة بالقول إنهما تشتملان على نفس عدد الأعضاء ، ولكن كيف نعرف أن لفئتين نفس العدد من الأعضاء ؟ يجيب راسل : إذا كان لكل عضو في إحدى الفئتين عضو يقابله في الفئة الأخرى ، أي إذا كان كل عضو في فئة مرتبطا بعلاقة واحد بواحد من أعضاء الفئة الأخرى كما هو الحال في عدد الأزواج والزوجات في مجتمع يأخذ بالزواج الأحادى . وهكذا تكون فئة ليس لها أعضاء هي فئة الصفر ، والفئة التي لها عضو واحد فئة الواحد . فالعدد فئة يتم فيها تجمع الفئات عن طريق التشابه . إن هذا التحليل للأعداد أعان راسل على تقليل

الحدود الرياضية ، وردها إلى مفاهيم منطقية ، ولكنه أثار عدداً من المشكلات النظرية . فقد يبدو أننا نستطيع السير في الطريق السهل ، الذي يتمثل في معاملة الفئات باعتبارها مجموعة من الأشياء التي يمكن عدها . ومن ثم لانحتاج إلا إلى فهم نوع الارتباط أو الاتصال بين الفئات . غير أن هذا الاتجاه يصادف عدداً من المشكلات ، منها أن بعض الفئات قد تشتمل على عدد لا متناه من الأعضاء ، وصعوبة قبول فكرتي الاتصال اللامتناهي والفئة الصفرية ، ولا منطقية التفكير في الفئة باعتبارها كيانا مستقلاً عن أعضائها . فالشخص الذي يشتري زوجاً من الأحذية ، يشتري وفقا لمنطق راسل ثلاثة أشياء : الفردة اليمني باعتبارها فئة ، والفردة اليسرى باعتبارها فئة ، والزوج المؤلف منهما باعتباره فئة . ولقد اكتشف راسل وجود فئة قد تكون أو لا تكون عضوا لذاتها . . وقد يبدو معقولا أن فئة من الاشياء التي يمكن عدها تكون هي نفسها شيئا يمكن عده ، ولكن فئة الرجال ليست هي ذاتها رجلا ، ولا فئة الملاعق ملعقة ، ولكي يتخلص راسل من أمثال تلك الصعوبات وصل إلى نظرية الأنماط ، التى تقرر أن المعادلة لا تتحدد حتى نحدد مدى ما تشتمل عليه من أشياء . ومن خلال تطبيق هذا على المعادلات ، وصل راسل إلى تنظيم هرمى ، ففي المستوى الأول يكون لدينا فئات مؤلفة من أفراد أو جزئيات ، وتسمى فئة من الدرجة الأولى ، وفي المستوى الثاني يكون لدينا فئات أعضاؤها فئات من الدرجة الأولى ، وتسمى فئة من الدرجة الثانية ، وفي المستوى الثالث يكون لدينا فئات من الدرجة الثانية ، وهكذا ويتألف النمط من الأشياء التي توافق معادلات من نفس المستوى[٥٧] .

وفيما يتعلق بالتحليل اللغوي عنى راسل بتحليل الألفاظ ومعرفة دلالاتها المختلفة ، وأراد أن يجعل للفلسفة لغة مثالية تختلف عن لغة التخاطب العادية ، على خلاف ما تذهب إليه كحدى المدارس الفكرية البريطانية ، التى تقرر « أن لغة الحياة اليومية بكلماتها الدارجة ومعانيها العادية تكفي الفلسفة التي ليس بها حاجة إلى مصطلحات أو إلى إخراج الكلمات الشائعة عن معناها العامي »[٥٨] ويقدم راسل جملة من الأسئلة والأجوبة توضح خطأ ما تذهب إليه تلك المدرسة .

وعلى سبيل المثال ، يقول رسال : حينما أري منضدة ، أيظل ما أراه موجودا إن أنا أغلقت عيني ؟ ويجيب إن هذا يتوقف على المعني الذي نعنيه بكلمة « أرى » ، ويسأل « ما الذي يوجد إذا كانت عيناي مفتوحتين ولا يكون موجودا إذا أغلقتهما ؟ ويجيب : هو الأسطح الملونة ، ويسأل : أفهل نستنتج إذن أن هناك معنيين لكلمة « أرى « أولهما حينما أرى منضدة أرى شيئا تخمينيا يتصوره علم الطبيعية تصوراً غامضا قد يكون خاطئا ، وثانيهما « أرى » أسطحا ملونة تفقد وجودها عند إغلاق عيني ؟ ويجيب : يصح هذا إذا أردت أن تفكر تفكيرا واضحا[٥٩] .

إن عناية راسل بالتفكير الواضح هي التي دفعته إلى التمييز بين الصواب والخطأ ، فأفرد لهما فصلا كاملا من كتابه « مشكلات الفلسفة » وفصلا كاملا من كتاب « مقالات فلسفية » وهو يرى بصفة عامة أن الحق والباطل والصواب والخطأ من المشكلات الفلسفية المهمة ، وأن علينا أن نميز فكرتنا عنها من سائر المشكلات المرتبطة بها ، بحيث تكون فكرتنا عن الصواب والخطأ والحق والباطل واضحة ، وأن العملية التي نستخدمها في التمييز عملية تحليلية ، يقول راسل : « إن لدينا معتقدات مختلطة ومعقدة عن الصواب والخطأ ، وعلينا أن نرد هذه الأفكار أو المعتقدات إلى صور أبسط وأوضح ، دون أن نحدث تعارضا بين معتقداتنا الأولية المختلطة والمعقدة وتأكيداتنا الواضحة والبسيطة ، ويجب اختبار تلك التأكيدات بخصائصها الذاتية وقدرتها على تفسير البيانات ، التى هي في هذه الحالة المعتقدات المختلطة والمركبة التى نبدأ بها . إن تلك المعتقدات لابد أن تتغير لكي تصبح واضحة ، ولكن لا يصح أن يكون التغير أكثر مما ينبغي ، أو أكثر مما يقتضيه التعقيد أو الاختلاط المبدئي »[٦١] . ويعتقد راسل أن الأشياء الحقة أو غير الحقة والصائبة أو الخاطئة قضايا أو أحكام . وراسل يستخدم القضايا والأحكام باعتبارها مترادفات . وتعتمد صحة أو خطأ القضايا والأحكام على صحة أو خطأ المعتقدات أو الوقائع التي يبني عليها الحكم ـ يقول راسل : « فإذا حكمت بأن شارل الأول مات في سريره يكون حكمي خاطئا لا لشيء يتعلق بي ولكن لأن شارل الأول لم يمت في سريره ، وإذا حكمت بأنه مات

مشنوقاً يكون حكمي صائبا بسبب حادثة وقعت منذ ٢٦٠ عاماً . وهكذا يكون لصحة أو بطلان الحكم دائما أساس موضوعى »[٦٢] وهذا من غير شك يعبر عن الاتجاه الواقعي لراسل . وكانت عناية راسل بالاستخدام اللغوي الصحيح مدعاة إلى صياغة نظريته عن التعريف بالوصف . ويذكر ألان وود أن نظرية التعريف بالوصف صغيت رداً على الفيلسوف النمساوي مينونج ، الذي شغل عقله ببعض الأشياء التي ليس لها وجود ، كالجبال الذهبية والمربعات المستديرة . لقد قرر مينونج أن الجبال الذهبية والمربعات المستديرة ـ إن لم يكن لها وجود في الواقع ـ لابد أن توجد بشكل ما ، وإن كان وجودها يختلف عن وجود الأشياء الواقعية . ولكن راسل أنكر هذا المذهب واستبدل عبارة « الجبل الذهبي ليس موجوداً » بعبارة « ليس هناك شيء موجود يمكن أن يكون ذهبا وجبلا »[٦٣] . ومعنى ذلك أن نظرية التعريف بالوصف أنكرت أن الكلمات تعبر على الدوام عن أشياء أو موضوعات ، أو أن الألفاظ تعني شيئا على الدوام . ولقد بين راسل إن هناك حالات كثيرة تضللنا فيها الألفاظ وأشكال الجمل ، وأنه لابد من الاعتماد على التحليل للكشف عن زيفها . ومن ثم استخدم منهج التحليل للتشكيك في مذهب المادة القديم ، الذي يقرر أن وراء المنضدة المصنوعة من الخشب ، ثقيلة الوزن ، داكنة اللون شيئا من المادة يجمع تلك الخصائص ، وأثبت في كتابه « معرفتنا بالعالم الخارجي »[٦٤] أنه ليس لهذا الشيء المادي وجود . وفيما بعد استخدم منهجه التحليلي للتشكيك في قول ديكارت : « إنني أفكر إذن فأنا موجود » حيث يقول : « ولنبدأ بقوله (يريد ديكارت) : « أنا أفكر » لقد حشرت كلمة « أنا » لتتمشى مع النحو . . وإذن فينبغي أن نستأصل كلمة « أنا » تاركين كلمة « أفكر » بغير فاعل ، طالما كان الفاعل تجسيدا للاعتقاد في الجوهر الذي ينغبي أن نغلق دونه أبواب أفكارنا . . وحينما أقول : « أنا موجود » أو « سقراط موجود » فإني في الحقيقة لا أقول شيئا . . وعلى ذلك فإن ديكارت حينما يقول : « أنا موجود » فلابد أنه يعنى أن يقول : « أنا اسم علم » وبالتالي لا يكون لها كل النتائج الميتافيزيقية التي أراد ديكارت أن يستنتجها منها »[٦٥] . إن ما يعنيه راسل هو أن مجرد قولنا : « سقراط » أو « أنا » تفيد وجودا ، وبالتالي فلا

معني لحمل الوجود على كلمتي « سقراط » و « أنا » فإن كان هذا ما يعنيه راسل حقا فلا معنى لاعتراضه على مينونج الذي يفترض وجود الجبال الذهبية لمجرد أننا نستطيع الحديث عنها . ومهما يكن من شيء فلا يستطيع أحد أن يقلل من أهمية الجهد الذي اضطلع به راسل في التحليل اللغوي وتحذيره من المزالق التي يمكن أن نقع فيها بسبب الاستخدام الخاطىء للغة ، ويعتبر كتابه الرائع « بحث في المعنى والحقيقة »[٦٦] خير شاهد على ذلك .

(ب) نظـرية المعـرفة :

إن نقطة البداية في نظرية المعرفة عند راسل مماثلة لنقطة البداية في نظرية المعـرفـة عند لوك . فلقد سلم راسل بأن معرفتنا بالعالم الخارجي مستمدة من الإدراك الحسي ، وافترض أن الأشياء المحسة مختلفة عن الأشياء الفيزيائية التي نعتقد أننا ندركها . وكما تحدث لوك عن الأفكار البسيطة للحس ، تحدث راسل عن المعطيات الحسية ، ومثل لها بالألوان والأشكال وغيرها . وتختلف المعطيات الحسية في رأيه عن الإحسـاسـات ، فالمعـطيات الحسية هي موضـوعـات الإحساس ، والإحساس هو الوعي ، يقول راسل : « حينما نرى لونا يكون لدينا إحساس به . ولكن اللون نفسه معطى حسى ، وليس إحساسا . فاللون هو مانعيه مبـاشرة والـوعى ذاتـه هو الاحساس »[٦٧] . لقد اعتمد راسل على هذا التمييز لكي ينتقد فكرة باركلي ، التي تتمثل في أن المعطيات المباشرة للحس أفكار في عقل المدرك . ونظرا لأن الوعي حالة من حالات العقل فقد أكد راسل أنه لا يترتب على ذلك أن تكون الأشياء التي نعيها عقلية . إن ما نستطيع أن نقوله هو أنها موضوعات للوعي ، واستنتج أنه لا يوجد سبب منطقى يحملنا على الاعتقاد في أن معطيات الحس لا توجد ما لم تحس . إن المشكلة الأساسية التي شغلت راسـل هي مشكلة العلاقة بين المعطيات الحسية والأشياء الفيزيائية ، وليست مشكلة العلاقة بين المعطيات الحسية والذات العارفة . ومن ثم لا نستطيع أن نفصل بين نظريته في المعرفة ونظريته في الوجود . ومن خلال استخدامه لمثاله المشهـور عن المنضـدة قال : « من الـواضـح أننا إذا أردنا أن نعرف شيئا عن

المنضدة ، فيجب أن يكون ذلك عن طريق المعطيات الحسية ـ اللون البني ، والشكل المستطيل ، والنعومة ، وغيرها من الصفات التي نربطها بالمنضدة » ، ولكنه أضاف قائلا : « إننا لا نستطيع أن نقول إن المنضدة معطى حسي ، أو أن المعطيات الحسية خصائص مباشرة لها . وهكذا تظهر مشكلة علاقة المعطيات الحسية بالمنضدة الحقيقية ، على افتراض أن هناك منضدة حقيقة »[٦٨] .

إن الأسباب التي جعلت راسل يتشكك في أن المنضدة معطى حسى ، وأن المعطيات الحسية خصائص مباشرة للمنضدة ، مستمدة من حجة الخداع ـ تلك الحجة التى تعتمد على حقيقة مؤداها أن موضوعا معينا كالمنضدة يستثير مظاهر مختلفة لدى الملاحظين المختلفين ، تبعاً للزوايا المختلفة التي ينظرون منها ، أو الظروف الفيزيائية المتباينة ، أو حالاتهم الجسمية والعقلية المختلفة . يقول راسل : « على الرغم من أنني أعتقد أن للمنضدة نفس اللون ، فإن الأجزاء التي تعكس الضوء تبدو بيضاء بسبب انعكاس الضوء ، إنني أعرف أني لو تحركت فسوف تختلف الأجزاء التي تعكس الضوء ، ويختلف توزيع اللون على المنضدة ، ويترتب على ذلك أنه لو نظر عديد من الأشخاص إلى المنضدة في نفس اللحظة ، فلن يرى اثنان منهم نفس توزيع الألوان ، لأنهما لا يستطيعان أن ينظرا من منظور واحد ، وأي تغير في المنظور يحدث تغيراً في كيفية انعاكس الضوء »[٦٩] ، وليست المسألة مجرد مسألة منظور لأننا نعلم فيما يقول راسل إنه حتى إذا نظرنا من نقطة رؤية معينة سوف يبدو اللون مختلفا ، إذا نظرنا إليه في ضوء صناعي ، أو نظر إليه شخص مصاب بعمى الألوان ، أو شخص يلبس نظارة زرقاء . وفي الظلام لا نرى شيئا من الألوان[٧٠] ولكن ما تبرير اعتقادنا في أن للمنضدة لونا معينا ؟ يجيب راسل بأنه لا توجد مبررات . ولعل ذلك يبدو من قوله : « حينما نتحدث عن لون المنضدة في حياتنا العادية ، فإننا نعني فقط نوع اللون الذي يبدو للملاحظ العادي من نقطة معينة ، في ظل شروط إضاءة عادية . ولكن الألوان الأخرى التى تبدو في ظل ظروف مختلفة خليقة بأن نعتبرها هي الأخرى حقيقة . وتجنبا للتحيز ننكر أن للمنضدة لوناً خاصاً[٧١] ونظرا لأن نفس الحجج تنطبق على التركيب الملاحظ للمنضدة من حيث الشكل واللمس ، ونظرا لاعتقاده في أن

إحساساتنا الخاصة باللمس والصوت لا تصدر عن خاصية محددة للمنضدة ، بل عن إشارات خاصة تسبب الإحساسات ، استنتج راسل « أن المنضدة الحقة ـ إن كان ثمة منضدة حقا ـ لا نعرفها مباشرة ، وإنما نستدل عليها مما نعرف مباشرة »[٧٢] ، ويقول في مكان آخر : « إن معرفتنا بالعالم ليست معرفة مباشرة ، وإنما هي معرفة بالاستدلال ، لأننا لا نعرف ما يتألف منه العالم ـ الالكترونات ، والبروتونات ، والنيوترونات ، والفوتونات ، وغيرها مما لا يرتبط بالخبرة المباشرة[٧٣] .

إن راسل يذهب إلى إن هناك عدداً من الأدلة على وجود الشيء الحقيقي مثل تشابه ما يراه الناس حينما ينظرون إلى شيء واحد كالمنضدة مثلا ، وبالتالي لابد من وجود شيء يعتبر مصدراً لتلك الإحساسات أو المعطيات الحسية . ولعل ذلك يبدو من قوله : « فالناس المختلفون يكون لهم معطيات حسية متماثلة ، والشخص الواحد ـ في الأوقات المختلفة والأماكن المختلفة ـ يكون له معطيات حسية متشابهة عن نفس الشيء . كل هذا يجعلنا نفترض أن وراء تلك المعطيات الحسية شيئا يسببها لدى الناس المختلفين في الأوقات المختلفة »[٧٤] . إن نظرية راسل في الإدراك العلي الذي يوضحه النقل السابق تقتضى أن تكون الأشياء الفيزيائية موجودة في المجال الإدراكي . وحينما تفسر رؤيتي للمنضدة التي أمامي بمرور الأشعة الضوئية من المنضدة إلى عيني فالافتراض هنا هو أن المنضدة موجودة حين أراها وليست موجودة في مكان لا أعرفه بل أستدل عليه . حقا إننا نميز أحيانا بين المكان الذي يوجد فيه الشيء والمكان الذي يبدو أنه فيه ، ولكننا ندرك الأشياء من خلال توحيدنا بين الأوضاع الفيزيائية للاشياء والأوضاع الملاحظة للمدركات ، وبذلك نحصل على نتائج مؤكدة . كما أن تمييز راسل بين المعطيات الحسية ـ كالألوان والأشكال والأصوات ـ والإحساس الذي هو تجربة الوعي المباشر يفترض تسليمه بالذات المدركة في مقابل الموضوع المدرك ـ ولقد اعترف راسل بهذا في قوله : « أقصد بالإحساس الواقعة التي تعتمد على وعي الذات بالمعطى الحسي . وهكذا يكون الإحساس شيئا مركبا ، وتكون الذات أحد مكوناته ، وبالتالي يكون الإحساس ذهنيا ، بينما يقف المعطى الحسي في

مقابل الذات باعتباره موضوعا تدركه الذات »[٧٥].

وهنا يفرق راسل بين الإدراك وموضوع الإدراك . فالإدراك ذهني وموضوعه فيزيائي . ومن ثم نرى أنه يسلم بثنائية العقل والمادة . ويرى أيضا أننا لانعرف الأشياء فقط ، وإنما نعرف أننا على وعي بها . وفي ذلك يقول : « حينما أرى الشمس فإنني غالبا ما أكون على وعي برؤيتي للشمس . . وهذا يعنى أنني أعرف شيئين في علاقة مع بعضهما : أحدهما يمكن اعتباره معطى حسيا والشيء الآخر هو ما يرى المعطى الحسي . وهل يكون هذا الشيء سوى نفسي أو ذاتي »[٧٦] إن هذه الحجة لا تبرهن إلا على أن الذات موجودة بوجود الخبرة ـ خبرة الرؤية ، ولكن دوام الذات يحتاج إلى دليل آخر ، لقد أخذ راسل فكرة ديكارت « أنا أفكر » وحولها إلى أنا شيء يفكر ، ولكنه لم يبرهن على أن الذات جوهر دائم . وفيما بعد تنكر راسل لثنائية العقل والمادة وذكر في كتابه « تحليل العقل »[٧٧] . أن من السذاجة أن نسلم بوجود الذات لمجرد أنها تستخدم كفاعل ، إن الموقف الذي يتخذه هو أن العقل هو محتواه ، والعقل منظوراً إليه من جهة يكون عقلا ومن جهة أخرى يكون شيئا فيزيائيا . ومن ثم تنكر راسل للكثير من انتقاداته لبركلي وبرجسون وغيرهما ممن لا يميزون بين الذات المدركة والموضوع المدرك .

وفي كتابه « صور من الذاكرة »[٧٨] يقرر « أن قطعة من المادة هي في حقيقتها مجموعة أحداث ترتبط بقوانين عليه هي القوانين العلية الطبيعية ، بينما العقل مجموعة أحداث ترتبط بقوانين علية هي القوانين النفسية ، وإذن فلا يصح وصف حادثة ما بأنها عقلية أو بأنها مادية لصفة في كيانها ، بل توصف بهذا أو بذلك حسب سياقها العلي . . . وفي هذه الحالة تكون الحادثة عقلية ومادية في وقت معا . . وما دمنا لا نعلم شيئا عن الصفة الكيانية للأحداث الطبيعية إلا حين تكون أحداثا عقلية تقع لنا في خبرتنا المباشرة ، فلن نستطيع أن نقول إن العالم المادي خارج رءوسنا يختلف عن العالم العقلي أو لا يختلف . « لقد تساءل راسل في بداية كتابه « مشكلات الفلسفة »[٧٩] عما إذا كان يوجد في العالم معرفة يقينية لا يشك في صحتها عاقل ، ويدلنا النقل السابق على أنه غير متأكد مما إذا كان العالم المادي يختلف أو لا يختلف عن العالم العقلي ، بل إنه قرر في الصفحة

الأخيرة من كتابه « المعرفة الإنسانية »[٨٠] أن « كل معرفة إنسانية مسألة غير مؤكدة ومتحيزة ، ولا أجد أن لهذا المبدأ أية حدود » ، وبذلك يمكن اعتبار كتابه « المعرفة الإنسانية » ـ الذي نشر في عام ١٩٤٨ حينما كان راسل في السادسة والسبعين من عمره ـ إعترافاً منه بالفشل في البلوغ إلى اليقين . ولقد كرر راسل في هذا الكتاب ما سبق أن قاله في كتب أخرى مثل « تحليل المادة » و« معرفتنا بالعالم الخارجي » و« بحث في المعنى والحقيقة » لأنه أراد أن يجعل منه ملخصا لآرائه ، وبدلا من أن يقدم فيه ملخصا وافيا لأفكاره ، ظل يلفت الانتباه إلى مشاكل أكثر وأكثر على طريقة الفيلسوف الذي يسأل أكثر مما يجيب ، فلم تكن فلسفته فلسفة كاملة بقدر ما كانت فلسفة في طور البناء ، حتى وهو في السادسة والسبعين من عمره .

رابعاً : بعض جوانب فلسفته العملية :

كتب الكثيرون عن إسهامات راسل في المنطق الرياضي ، وفلسفة العلم ، والفلسفة التحليلية ولم يعنوا بفلسفته العملية على أساس أنها ليست جزءاً من فلسفته ، حقا إن راسل اعتقد في وقت أن المنطق هو جوهر الفلسفة والرياضيات ، ولكنه غير رأيه فيما بعد ، واعتقد أن المنطق والرياضيات لا يعدوان أن يكونا مجرد مواضعات تتعلق باستخدام الرموز والكلمات[٨١] ولم يشغل المنطق والرياضيات راسل عن العناية بالمشكلات السياسية والاجتماعية والخلقية ، ولعل ذلك يبدو من قوله « وطوال الفترة التى كنت مشغولاً فيها انشغالا أوليا بالمنطق الرياضى كنت شديد الاهتمام أيضا بالمسائل الاجتماعية . . إلا أن المسائل الاجتماعية لم تصبح هي الأولى إلا في سنة ١٩١٤ »[٨٢] إن ضغط العالم على راسل جعله يصرف همه عن الأمور المجردة إلى المشكلات الاجتماعية ، ودفعه إلى العناية بمشكلات الفقر والحرب والمعاناة الإنسانية في الماضى والحاضر . يقول راسل : « ولكن في عالم كهذا الذي كتب علينا أن نعيش فيه يصعب جداً أن يركز الإنسان همه على الأمور المجردة وحدها لأن الحياة اليومية

تضغط بوقرها على الفيلسوف حتى تحطم له برجه العاجي »[٨٣]، ومن ثم خرج راسل إلى الحياة العملية يدافع عن التجارة الحرة ، والحقوق الانتخابية للنساء ، ورشح نفسه مرتين للبرلمان ، ورفض الحرب حلا للمنازعات بين الدول ، ودعا إلى السلام ونزع السلاح النووي ، وناصر قضايا التحرر في كل مكان . وفيما يلي نحاول بيان الفكر السياسي والاجتماعي والخلقي الذي كان يوجه نشاط راسل ويحدد موقفه من القضايا السابقة .

(أ) فكره السياسي :

كان لشهرة راسل في ميداني الفلسفة والرياضيات ، ولطبيعة كتاباته المبكرة في السياسة ، واتجاهاته الصحفية ، وتنقله بين المذاهب السياسية ، أثر كبير في تقليل أهميته في مجال الفكر السياسي ، كما دعت بعض الباحثين من أمثال إير Ayer [٨٤] إلى الاعتقاد في أن راسل لم يكتب كتابة منظمة في مجال الفكر السياسي . ونحن نجد في كتاباته السياسية وما طرأ عليها من تغير مبرراً لاعتقاد إير . فلقد نشأ راسل ليبراليا ، ثم اصبح تحت تأثير « سيدني ويب » استعماريا ، وناصر حرب البوير ثم غير رأيه في حرب البوير ، وأحتج على الحرب العالمية الأولى ، وناصر الحرب العالمية الثانية[٨٥] وتعاطف مع الاشتراكية المتدرجة[٨٦] وعادى البلشفية وتنكر لمبادئها[٨٧] . ولكن هذه التغيرات يجب أن تفهم في ضوء فهمنا لفكر راسل بصفة عامة ، لأنها لا تختلف عن تحولاته من الأفلاطونية إلى الإمبيريقية ، ومن النزعة الصوفية إلى النزعة الشكية . إن عقلية راسل تميل إلى استبعاد المنهج القبلي وتأكيد المنهج التجريبي ، ولا يختلف فكره السياسي في تلك الخصوصية عن فكره الفلسفي . فلقد كانت معالجته للمسائل السياسية تجريبية تعتمد على ما يوفره الموقف من أدلة ، لا على مبادئ وأفكار سابقة ، ولا أدل على هذا من موقفه من الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وموقفه من الشيوعية . إن راسل أنكر الحرب العالمية الأولى وأيد الحرب العالمية الثانية لا لأنه غير رأيه في الحرب ، ولكن لأن الظروف والملابسات كانت مختلفة . يقول راسل : « أما الحرب العالمية الثانية فكانت شيئا مختلفا . فقد كانت نتيجة لسخافاتنا إلى حد

كبير أن أصبح لزاما أن تصرع ألمانيا النازية إذا قدر للحياة الإنسانية أن تظل محتملة ، وإنه لما يخشى حقا أن تكون الحرب مع روسيا ، إذا هي حاولت التسلط على العالم ، ضرورية كتلك الحرب »[٨٨].

ولم يغير راسل رأيه في الشيوعية إلا بعد زيارته لروسيا عام ١٩٢٠ ، ومشاهدته لمختلف الشرور الناجمة عن ازدراء الشيوعيين للحرية والديمقراطية ، وهي أمور تتعارض مع ما يتمناه رجل ليبرالي مثل راسل . يقول راسل : « كانت زيارتي لروسيا في سنة ١٩٣٠ نقطة تحول في حياتى ، ففي أثناء إقامتي هناك شعرت بالفجيعة تتفاقم وتزداد حتى أوشكت أن تكون حصرا لا طاقة لي به ، فقد تبدى لي البلد سجنا كبيراً سجانوه شرذمة من المتعصبين القساة »[٨٩]. إننا نميل إلى الاعتقاد في أن لراسل فكراً سياسيا يرتبط بموقفه الفلسفي العام الذي يجمع فيه بين النزعتين الليبرالية والإمبريقية لقد كان راسل آخر الفلاسفة الذين يجمعون بين الليبرالية والإمبيريقية في التقاليد الإنجليزية . ولعل ذلك يبدو من قوله : « إنني آخر ديار في جيل مضى »[٩٠]. ولعله يقصد جون لوك ، ووليم باركلي ، ودافيد هيوم ، وغيرهم ممن كانوا فلاسفة ليبراليين وتجريبيين في الآن عينه . وبالتالي يمكن فهم الفكر السياسي لراسل في ضوء هذا الإطار العام . فلقد أكد راسل في كتابه « السلطة »[٩١] أن قدراً من الحرية ضروري حتى في الدول الاشتراكية ، ولكن هذا القدر يجب تحديده باستمرار ، وأن السلطة لا الثروة يجب أن تكون الموضوع الأساسي للعلم الاجتماعي ، لأن العدالة الاجتماعية تتمثل في توزيع السلطة بين أكبر عدد ممكن من الأفراد . ولقد وصف راسل نفسه في كتابه « مقالات شكية »[٩٢] بأنه « ينتمي إلى الحزب السياسي الذي استهدف إخضاع سلطة التاج إلى البرلمان الإنجليزى » وفي كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية »[٩٣]. وصف راسل الليبرالية المبكرة وكأنه يصف نفسه حيث

قال : « كانت الليبرالية المبكرة متفائلة ونشيطة وفلسفية ومعارضة لكل ما ينتمي إلى العصور الوسطى في الفلسفة والسياسة معا . . . وكانت الخاصية المميزة للحركة الليبرالية هي نزعتها إلى الفردية » إن راسل يرى ضرورة وجود الحرية التي هي هدف جميع التنظيمات السياسية والسلطة التي هي جوهر التنظيمات

السياسية ، إن جوهر الحرية هو الفوضى والعطل عن القيود ، وحقيقة السلطة هي السيطرة وفرض القيود . وتتمثل مشكلة الاتجاه الليبرالي في المحافظة على الحرية دون التحول إلى الفوضوية ، واستخدام السلطة دون التحول إلى الطغيان . يقول راسل : « يواجه كل مجتمع بخطرين هما الفوضى وا لطغيان وكلاهما كارثة وخيمة العواقب »[٩٤] فالحرية تنكر السلطة ، والسلطة تنكر الفوضى . ويقول في مكان آخر « إن النمو الحر للفرد يجب أن يكون الغاية القصوى للنظام السياسي »[٩٥] ويقول في مكان ثالث : «تتألف الحكومة والقانون في جوهرهما من القيود المفروضة على الحرية ، والحرية هي أعظم الأهداف السياسية »[٩٦] ومعنى ذلك أن الحكومة في رأي راسل ـ كما هي في رأي أسلافه الليبراليين ـ ضرورية اللمحافظة على الفردية بتقييدها للحرية والفوضى ، فطريق الحرية ممهد بالسلطة .

(ب) فكره الاجتماعي :

كانت اتجاهات راسل الليبرالية هي العامل الحاسم في فكره الاجتماعي الذي تمثل في نقده للمؤسسات الاجتماعية السائدة في العالم الغربي . فالاتجاه الليبرالي يؤكد ضرورة الحرية والمبادأة اللازمين لإحداث التقدم الإنساني في العلوم والفنون والآداب ، وضرورة التماسك الاجتماعي اللازم للبقاء . ومن ثم حدد راسل وظيفة المؤسسات الاجتماعية في « تحقيق النمو الذاتي للفرد ، نموا حرا نشطا ، وليس إجباره على النمو وفقا لنمط شخص آخر »[٩٧]، وبالتالي يحكم راسل على نجاح أو فشل المؤسسات الاجتماعية بما توفره من فرص لنمو الفردية ، يقول راسل : « يحكم على المؤسسات الاجتماعية والسياسية بالخير أو الشر وفقا لما تحدثه في الأفراد . هل تشجع دوافع الخلق ؟ هل تنمي الاحترام بين الناس ؟ هل تحافظ على احترام الإنسان لذاته ؟ »[٩٨] وحينما درس راسل المؤسسات الاجتماعية والسياسية من منظور تاريخي بلغ إلى حكم مؤداه أنها تعتمد على السلطة وتعوق النمو الفردي . يقول راسل : « يتمثل الأساسي التاريخي لجميع مؤسساتنا في السلطة . فالسلطة التي لا ينازعها أحد في المجتمعات الشرقية

تجسدت في التعبير الدنيي عن الخالق كلي القدرة ، الذي كان تمجيده الغاية الوحيدة للإنسان ، وفي مواجهته لا يكون للإنسان أية حقوق . انتقلت تلك السلطة إلى الامبراطور والباب في العصور القديمة ، ثم إلى الملوك في العصور الوسطى ، ثم إلى النبلاء في العصور الإقطاعية ، ثم انتقلت إلى كل زوج وأب في تعاملهم مع زوجاتهم وأولادهم »[٩٩] .

وبناء على ذلك دعا راسل إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية تحقيقا لاحترام الفرد وتنمية لدوافعه الخلاقة . يقول راسل : « إن الشيء المهم . . هو ضرورة تغيير مؤسساتنا تغييرا جوهريا بحيث تجسد احترام الفرد واحترام حقوقه »[١٠٠] ويقول في مكان آخر : « إن أفضل وأعظم تغيير نحتاج إليه هو تأسيس أخلاق المبادأة لا أخلاق الخضوع ـ أخلاق الأمل لا أخلاق الخوف »[١٠١] ويضيف « إن ما نحتاج إليه هو التكامل بين الحياة الفردية والحياة الاجتماعية »[١٠٢] لقد اعتمد راسل على حجتين أساسيتين لأحداث التغير الذي يريده في المؤسسات الاجتماعية ، إحداهما بيولوجية والثانية تاريخية . وأكمل صورة للأساس البيولوجي في رأيه توجد في حياة النمل والنحل . يقول راسل : « لا يقوم النمل والنحل مطلقا بأعمال مضادة للحياة الاجتماعية ، ولا تنحرف عن الولاء للعش أو الخلية . وقد تعجب بهذا الولاء للواجب الاجتماعي ، ولكن لهذا الولاء مثاليه ، فالنمل والنحل لا تنتج أعمالاً عظيمة في الفن ، ولا تحدث اكتشافات علمية عظيمة ، ولا يكون لها عقائد دينية تعلمها أن جميع النمل أو النحل أخوة أو أخوات فحياتها الاجتماعية ميكانيكية دقيقة وثابتة »[١٠٣] . ويميز راسل في الطبيعة الإنسانية بين نمطين من الدوافع هما دوافع الملكية والدوافع الخلاقة ، وهما يناظران نوعين من الطيبات الاجتماعية : هما السلع المادية ، والسلع العقلية والروحية ، أما دوافع الملكية فتدفع إلى المنافسة والحسد والسيطرة والحرب . وأما دوافع الخلق فتدفع إلى التقدم في العلوم والفنون والآداب ، وإلى كل ماهو جميل في الحياة الإنسانية . وهذان النمطان من الدوافع ضروريان للحياة الإنسانية ولا غنى لأحدهما عن الآخر ، ولكن إشباع دوافع الملكية يكون دائما على حساب الآخرين ، ومن ثم يرى راسل ضرورة تدخل الحكومة لتقييد دوافع الملكية

وإطلاق الدوافع الخلاقة . يقول راسل : « فطعام وكساء شخص لا يكون طعاما وكساء لشخص آخر . فإذا كانت الموارد غير كافية فإن ما يحصل عليه شخص يكون على حساب شخص آخر . . أما السلع العقلية والروحية فلا تنتمي إلى هذا المبدأ ، لأن ما يأخذه شخص منها لا يكون على حساب شخص آخر . فإذا علم شخص علما فإن هذا لا يمنع الآخرين من معرفته ، بل على العكس يعينهم على تحصيله »[١٠٤] ، وبالرغم من إقرار راسل بأهمية دوافع الملكية والدوافع الخلاقة فإنه يرى أن الحياة الفضلى هي التي تعلب فيها الدوافع الخلاقة على دوافع الملكية . يقول راسل : « وأفضل حياة هي الحياة التي تلغب فيها الدوافع الخلاقة أكبر دور ودوافع الملكية أقل دور »[١٠٥] . أما الحجة التاريخية التي قدمها راسل للتدليل على صحة مايذهب إليه فتعتمد علي دراسته لحياة الإنسان في جماعة منذ أقدم العصور حتي الوقت الحاضر . ففي المجتمعات البدائية كانت المسايرة والخضوع للجماعة من الشروط الضرورية لتحقيق الأمن ، وكان التشابه بين أعضاء الجماعة ضروريا لتحقيق الأمن ، وكان التشابه بين أعضاء الجماعة ضروريا لراحة الفرد وإشباع حاجات الجماعة ، وبالتالي كان التنظيم الاجتماعي قوة تستبعد الاختلافات الفردية وتؤكد الوعي الجمعي ، ومع تقدم الحياة الاجتماعية زادت أهمية التنوع والاختلاف ، وأصبحت المبادأة أو الحرية شرطا ضروريا للتقدم الاجتماعي .

ففي المجتمع الإغريقي ارتبطت الحرية والفردية بالتقدم والمدنية ، ونظراً لتفاوت أنصبة المدن الدول في درجة الحرية والفردية اختلفت إسهاماتها في الحضارة الإغريقية . وفي الإمبراطورية الرومانية سمحت الحكومة المركزية بقدر كبير من الحرية للأفراد والولايات حتى عصر أوغسطس ، فتقدمت الحضارة ، وازدهرت العلوم والفنون والآداب والعمارة ، واتسعت ممتلكات الإمبراطورية . وحينما قيدت الحكومات الحريات انعكس هذا سلبا على الإمبراطورية[١٠٦] .

(جـ) فكره الخلقي :

ترتبط النظرية الخلقية لراسل بفكره السياسي والاجتماعي . فلقد أعلى من شأن تلقائية الفرد ، وأدرك أن جميع الدوافع ليست محلا للتقدير ، ولكنه رأي أن

السعـادة تقـاس بتلقائية الفرد ، وإخضاع الدوافع للأهداف استجابة لطبيعة الحياة الاجتـماعية[١٠٧] إن التمييز بين الأهـداف والوسائل يحتل مكانا بارزا في التفكير الخلقي لدى راسل . فهو يحدد مكان العقل في السلوك ويوضح الفرق بين الغـرض والدافع ، فالعقل في رأيه معني باختيار الوسائل المعينة على بلوغ الأهداف ، وليس له دخل في اختيار الأهداف لأنها تعتمد على الانفعالات . إن عمل العقل ينحصر في اكتشاف الأهداف و العلاقات المنطقية القائمة بينها ، ومعـرفـة ما إذا كانت أنواع معينة من السلوك تحقق أو لا تحقق الأهداف التي نريد . أما تحديد الهدف فيعتمد على الرغبة والشعور . ولا يوجد شيء يمكن أن نسميه هدفا معقولا أو غير معقول ، اللهم إلا من حيث قابليته للتحقيق[١٠٨] ، وحينما نقول إن شيئا حسن أو رديء فإننا لا نتحدث عن قضية يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة وإنما نعبر عن رغبة فقط ، وفيما بعد حاول راسل أن يربط بين الفعـل الخير والفعل الصائب ، وسلم بأن الفعل الصائب هو الذي يكون له أفضل النتائج[١٠٩] ، وحينما تبين له أن الناس لا يستطيعون معرفة ما هو صائب ، لأنهم غير قادرين على التنبؤ بكل النتائج التي تترتب على أفعالهم ، فضلا عن النتـائـج الممكنة التى يمكن أن تترتب عليها ، مال إلى الاعتقاد في أن الفعل الصـــائب هو الفعـل الـذي يؤدي إلى أفضـل نتـائـج من بين جميع الأفعـال الممكنـة[١١٠] ، ولكن هذا يدفعنا إلى السؤال عن الأفعال الممكنة ماهي ؟ فهل يمكن للإنسان أن يفعل سوى ما قد فعل ؟ إن أنصار الحتمية يقولون : ليس هذا ممكنا ، وبالتالي لا يكون للإنسان قدرة على الاختيار ، وصاحب الاختيار يقرر أن ذلك ممكن . ولكن راسل لا يوافق على هاتين الإجابتين ، وإن كان يميل إلى الأخذ برأي أنصار الحتمية ، إذ يقول : « إن الأسس المؤيدة للحتمية تبدو كثيرة بالنسبة لي »[١١١] إن تأكيد راسل على علية الأفعال يؤكد موافقته على رأي أنصار الحتمية ، حيث يقول : « إذا شككنا في العلية تداعت الأخلاق ، لأن الفعل الخلقي هو الفعل الذي تكون آثاره المحتملة أفضل آثار ممكنة ، ولذلك فإن تقديرات الصواب والخطأ تفترض أن أفعالنا يمكن أن يكون لها مؤثرات ، وبالتالي ينطبق قانون العلية ، وإذا قلنا إننا نتصرف بتلقائية فإن التلقائية تعني أننا

نفعل ما نختار ، ونختار ما يسرنا ، وهذا لا ينكر أن اختيارنا يعتمد على دوافعنا ، وبالتالي تكون الدوافع عللا وأسبابا للإرادة والسلوك »[١١٢] ولقد حاول راسل تمثيل قضايا الأخلاق بالقضايا العلمية ، ولخص جهوده في هذا المجال في أربع قضايا وتعريفات ، أدعى أنها تقدم مجموعة من القضايا الخلقية تكون صحيحة أو خاطئة بنفس المعنى الذي نحكم به على القضايا العملية[١١٣] ، ولا محل في رأينا لمحاولة راسل تمثيل قضايا الأخلاق بالقضايا العلمية لأمر جوهري هو أن الأخلاق عنده تعتمد على الأغراض ، وليس على الاتفاق العام الذي يميز القضايا العلمية . إننا من غير شك نختلف على أهمية الأغراض ، كما نختلف على أهمية الوسائل ، وإن اتفقنا على الاهداف فقد نختلف على الوسائل . . وهذا واضح ، وموافق لما يؤكده راسل في مكان آخر حيث يقول : « أنا لا أعنى ببساطة أن الخير هو المرغوب لأن رغبات الناس تختلف ، والخير بالنسبة لي مفهوم اجتماعي يحاول أن يجعل من هذا الصراع قضية . والصراع ليس فقط بين رغبات الناس المختلفين ، ولكن بين رغبات الإنسان الواحد التي لا يمكن التوفيق بينها سواء في وقت معين أم في أوقات مختلفة ، حتى لو كان منعزلاً مثل روبنسون كروزو »[١١٤] .

أما الفضائل والرذائل التي تحدث عنها راسل فكانت مرتبطة باتجاهاته الليبرالية بصفة عامة . ويبدو ذلك على أفضل نحو من الوصايا العشر التي قدمها مصوغة في شكل أمر أو نهي في المجلد الثالث من « سيرته الذاتية »[١١٥] وهي :

١ ـ لا تشعر باليقن المطلق في أي شيء .

٢ ـ لا تحاول إخفاء الدليل لأنه سوف يظهر بالتأكيد .

٣ ـ لا تحاول أن تحجر على الفكر لأنك ستنجح بالتأكيد .

٤ ـ حينما تواجه معارضة . . . حاول أن تتغلب عليها بالحجة لا بالسلطة ، لأن النصر الذي يعتمد على السلطة وهمي وغير حقيقي .

٥ ـ لا تحترم سلطة الآخرين ، لأن هناك دائما سلطات أخرى مناهضة .

٦ ـ لا تستخدم القوة لقمع الآراء التي تعتقد أنها ضارة ، لأنك إن فعلت سوف تمحقك الآراء .

٧ ـ لا تخش أن يكون رأيك شاذا ، لأن كل رأي مقبول الآن كان شاذا في وقت ما .

٨ ـ ابحث عن اللذة في الخلاف العقلي لا في الاتفاق السلبي .

٩ ـ كن صادقا في كل شيء حتى لو كان الصدق غير مريح ، لأنك لو حاولت إخفاء الحقيقة ستكون أكثر قلقا .

١٠ ـ لا تحسد الحمقى علي سعادتهم لأن الأحمق هو السعيد .

ومن خلال تحليل تلك الوصايا نستطيع البلوغ إلى الفضائل أو الرذائل التى تحدث عنها راسل . فالشخص الفاضل في رأيه هو الشخص المنفتح الذهن ، الصادق ، المشجع للبحث ، العادل في مناقشته ، غير المتسلط ، الناقد للسلطة ، المتسامح ، الشجاع في التعبير عن أهدافه ، المستبين للحجج المناهضة ، غير الحسود . إن قدرة الإنسان على الأخذ بالفضائل ، وتجنب الرذائل تعتمد على نوع التربية التي يتلقاها ، ومن ثم يجب الانصراف إلى مناقشة نوع التربية التى يعتقد راسل أنها ضرورية لتحقيق الحياة الفاضلة ا لتى أرادها .

خامساً : بعض جوانب فكره التربوي :

كتب راسل عن التربية عام ١٩١٦ في مقال له بعنوان « التربية مؤسسة سياسية »[١١٦] ناقش فيها مفهوم الاحترام وغيره من القيم الليبرالية ، ودعا إلى تنمية القدرات العقلية التي تعين الأطفال على التفكير لأنفسهم وإصدار أحكام مستقلة ، وأدان الدولة والكنيسة لما تقدمان من تربية سيئة لا تراعي مبدأ الاحترام أو الاستقلال العقلي ، وتجبر الأطفال على الإذعان لمعتقدات مشكوكة . وفي عام ١٩٢٠ كان ميلاد طفليه « جون » و« كيت » مدعاة لزيادة اهتمامه بالتربية ، فكتب العديد من المقالات وألف كتابين في التربية هما « في التربية »[١١٧] و« التربية والنظام الاجتماعي »[١١٨] وفي عام ١٩٢٧ أسس راسل بالاشتراك مع زوجته الثانية مدرسة تجريبية يطبقان فيها أفكار راسل التربوية ، المستمدة من فلسفته الليبرالية ، ومن سلوكية واطسن ، وتحليلية فرويد ، ونتائج دراسات ماريا منتسوري[١١٩] وفيما يلي نناقش انتقاداته للوسائط التربوية كالكنيسة والدولة ،

ومكونات الحياة الفاضلة التي اعتبرها أهدافا للتربية ، وملامح برنامجه التربوي الذي يعين على تحقيق تلك الأهداف .

(أ) نقده للوسائط التربوية :

انتقد راسل الكنيسة والدولة وفقا لمعايير مستمدة من فكره الليبرالي بصفة عامة . فالإيمان الديني بصفة عامة يعتمد على الخوف ، وطالما أنه يعتمد على الخوف فإنه يقلل من الكرامة الإنسانية[١٢٠] والايمان في رأيه اعتقاد في شيء لا يقوم على صحته دليل . يقول راسل : « إننا لا نتحدث عن اعتقاد مفاده أن ٢ + ٢ = ٤ أو أن الأرض كرّوية ، بل نتحدث عن الإيمان حينما نريد استبدال الدليل بالانفعال[١٢١] ويعتمد التأثير المخرب للتعليم الديني في رأيه على خمسة أمور : أولها أن الكنيسة تدرس قضايا مشكوكة كما لو كانت حقائق ، وثانيها أنها تطالب المعلمين بإغلاق عقولهم فلا يناقشون المعتقدات الدينية وإلا فقدوا وظائفهم أو أرواحهم ، وثالثها احتفاظ الكنيسة بكثير من التقاليد السيئة كالاعتقاد في النار والجنة ، ورابعها تقليل أهمية العالم الذي نعيش فيه بالقياس إلى الحياة الأخرى ، وخامسها إفساد القيم العقلية كالتسامح والنزاهة والموضوعية وتشجيع التعصب والتحيز[١٢٢] وينكر راسل إمكان الاعتماد على الدين في تأسيس الأخلاق لاختلاف العقائد الدينية ، ويستدل على ذلك بقوله : « اعتاد البروتستانت على إخبارنا أن العمل أيام الآحاد لا يوافق إرادة الرب . ويقول اليهود إن الرب يعترض على عمل الناس في أيام السبت ، والمسلمون يستبدلون يومي السبت والأحد بالجمعة . ولا توجد وسيلة علمية لحسم هذا الخلاف . واليهود والمسلمون يؤكدون أن الله يحرم لحم الخنزير ، والهندوس يقولون أن لحم البقر هو المحرم ، إن عدم الاتفاق على هذه النقطة أدى إلى قتل مئات الآلاف من البشر . . ومن الصعب أن نقول بناء على ذلك أن إرادة الله تقدم أساسا موضوعيا للأخلاق »[١٢٣] إن راسل يستبدل المعتقدات الدينية بعدد من الأفكار العامة التي يتفق عليها العقلاء لإقامة أسس جديدة للأخلاق حيث يقول : « إن العقلاء يتفقون على عدد من الأمور : فأن تحيا خير من أن تموت ، وأن تتغذى أفضل من

أن تموت جوعاً ، وأن تكون حرا خير من أن تكون عبدا . إن كثيرا من الناس يرغبون في هذه الطيبات لأنفسهم ولأصدقائهم ، ويتركون غيرهم يعانون . إن هؤلاء النـاس يمكن الـبرهنـة على خطئهم بالعلم . فالإنسـانية أصبحت كالأسرة . . . فإذا رغبت أن تكون سعيدا فيجب أن تتأكد من أن كل شخص آخر سعيد »[١٢٤] ويضيف : « الجنس البشري كله أسرة واحدة ، فإما نسعد معا أو نشقي معا . لقد مضى الوقت الذي كانت فيه قلة تسعد على حساب تعاسة الكثـرة »[١٢٥] ونحن نوافق راسل على أن الدين ليس المصدر الوحيد للأخلاق وبخاصة تلك الأخلاق العالمية التى كان يرجوها ، وأن ما يتفق عليه العقلاء يمكن أن يكون أساسا للتشريع الأخلاقي ، ولكن هذا مطلب بعيد المنال فقلما يتفق العقـلاء على شيء ذي بال ، والعقل نفسه يتشكل بالظروف التي يحياها الإنسان ، سواء أكانت دينية أم اجتماعية .

وينتقد راسل الدولة لعنايتها بتنمية روح الوطنية على حساب القيم الإنسانية فالدولة في جميع أرجاء العالم تعلم الأولاد والبنات أن إخلاصهم يجب أن يكون للدولـة التي هم مواطنـون فيهـا . وأن واجبهم هو العمـل حسب توجيهـات حكـومتهـا . ولذلك تعلم تاريخا مزيفا وسياسة خاطئة واقتصادا كاذبا ، وتخبر الأطفال عن الأعمال المشينة للدولة ا لأجنبية لا عن أعمالها السيئة ، وتقودهم إلى الاعتقاد في أن جميع الحروب التي قامت بها دولتهم كانت حروبا دفاعية ، بينما كانت حروب الدول الأخرى عدوانية[١٢٦] وتجنبا للأخطاء السابقة يقترح راسل أن تقوم منظمة دولية بمساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية ومن روسيا بكتابة التاريخ . والتاريخ يجب أن يكون تاريخاً للعالم لا تاريخا قوميا ، وأن يبتعد التاريخ عن تمجيد الحروب والأبطال القتلة . ولعل ذلك يبدو من قوله : « لذا أرى أن تنشأ حكومة عالمية أو شبه عالمية قادرة على إحلال القانون والتفاهم الودي محل النزاعات المسلحة بين الأمم ، وقادرة على تنقية التعليم والتربية من نعرة الوطنية المتعصبة العدوانية في أي قطر من أقطار العالم ، وعلى تقوية الولاء في جميع البرامج التربوية والتعليمية للدولة العالمية وما تمثله من روح حضاري »[١٢٧] ولقد اقترح راسـل أيضـا قيام جامعـة دولية تحقيقيا للنـظام الـتربوي الذي تحكمه الدولة

العالمية . فالجامعة الدولية التي تقترح تنشئها هيئة دولية كهيئة الأمم المتحدة ، وتختار لها عددا من المعلمين من قوميات مختلفة . واقترح راسل أن تكون إحدى وظائف الجامعة الدولية اختيار أو إعداد كتب التاريخ التي تدرس في المدارس ، منعا لتزييف الدول القومية للتاريخ أو الترويج لأهدافها وتحيزاتها ، أما الوظيفة الثانية للجامعة العالمية فتتمثل في إعداد المعلمين . فالمعلمون في رأية يجب أن يتخرجوا في كليات المعلمين ويتلقوا تدريبا في الجامعة الدولية[١٢٨] ومعنى ذلك أن ثقة راسل كبيرة في التعليم والمعلمين لإحداث الإصلاحات التي يريد .

(ب) مكونات الحياة الفاضلة :

بينا فيما سبق رأي راسل في الدين والدولة باعتبارهما قوتين أو مؤسستين تؤثران سلبا على نمو الشخصية الإنسانية ، ونناقش الآن الغايات أو الأهداف التي يرجو أن تحققها التربية . وفي بداية كتابه « في التربية »[١٢٩] نبه راسل إلى وجود بعض الخصائص المرغوبة التى لا نحتاج إلى تنميتها عند كل الناس ، فالخصائص المرغوبة في المدير الناجح قد لا تكون مرغوبة في الفنان أو الشاعر أو الأديب . وأكد أنه يحاول جعل الخصائص التي يعتبرها ممتازة في جميع الرجال والنساء أهدافا للتربية . ومن ثم تحدث عن أربع خصائص يمكن تنميتها من خلال العناية بالنشء بدنيا وعاطفيا وعقليا . أما ثلاث الخصائص الأولى فتتعلق بالتربية الخلقية ، ويجب تنميتها في وقت مبكر من حياة الطفل سواء في البيت أم في مدرسة مؤسسة على غرار مدرسة مونتسوري . وأما الخاصية الرابعة فتتعلق بالتربية العقلية ، وتحدث بعد سن السادسة ، وتستمر خلال سنوات الدراسة الجامعية . وفيما يلي نناقش تلك الأهداف .

١ـ الحيوية :

يرى راسل أن الحيوية « صفة فسيولوجية أكثر منها عقلية »[١٣٠] وهي توجد مادامت الصحة جيدة ، وتتضاءل في الحياة المتأخرة ، وتنعدم في الشيخوخة . ويعتقد راسل أنه حينما توجد الحيوية توجد السعادة « فهي تزيد المسرات وتقلل الآلام ، وتيسر على الإنسان الاهتمام بما يدور حوله »[١٣١] فالشخص المتسم

بالحيوية يهتم بكل ما يدور حوله . وهذا الاهتمام بالأشياء الخارجية ـ متميزا عن الاهتمام بالذات ـ يؤلف الموضوعية . والموضوعية ضرورية للمحافظة على العقلانية . والحيوية تزيد الاجتهاد وتحول دون الحسد . يقول راسل : « الحيوية تنمي الاهتمام بالعالم الخارجي ، وتنمي القدرة على العمل الشاق ، وهي فوق هذا أمان من الحسد ، لأنها تشيع البهجة في حياة الإنسان »[١٣٢] فالإنسان السعيد لا يحسد أخاه ، فإذا سلمنا بأهمية الحيوية باعتبارها خاصية مرغوبة فكيف نستطيع تنميتها في أكبر عدد من الأشخاص ؟ تتمثل إجابة راسل عن هذا السؤال في التفكير في عدد من الأمور مثل تقديم وسائل أفضل للتغذية الصحية ، والعناية الطبية المناسبة ، وتنمية عدد من الاهتمامات العقلية لدى الصغار ، وإحداث تأثير في التطور الفيزيائي للإنسان. لقد وصف راسل كيف يمكن استخدام نتائج علم الأجنة في إنتاج الأصحاء بدنيا وعقليا من الناس ، وكان متفائلا إلى الحد الذي جعله يعتقد في إمكانية تنمية عناصر كيماوية ، يمكن حقنها في الرحم فتنتج الرياضى ، والأديب ، والسياسي ، والموسيقى . . . إلخ[١٣٣] ومما لاشك فيه أن لاقتراح راسل الأخير مضامين اجتماعية وسياسية خطيرة يمكن أن تترتب على تلك الإمكانات العلمية مثل إمكان استغلال الدولة لتلك الإمكانات في التأثير في نمو المواطنين على نحو لا يرغبه راسل ، ولكنه لم يتحدث عن تلك الإمكانات بشكل مباشر .

٢ـ الشجاعة :

الشجاعة هي ثانية الخصائص المرغوبة التى حددها في قائة أهدافه التربوية ولقد عرفها بأنها « التجرد من الخوف غير المعقول »[١٣٤] ويعتقد راسل أن كثيرا من مخاوف الطفولة تنشأ عن الإيحاء ، وهكذا يستطيع الآباء أن يجنبوا أطفالهم الكثير من المخاوف ، إذا لم يبدوا الشعور بالخوف في وجودهم ، يقول راسل : « الخوف معد إلى غير حد ، يأخذه الأطفال من الكبار حتى حين لا يشعر الكبار أنهم أظهروه »[١٣٥] غير أن راسل لا ينكر وجود المخاوف الغريزية ، فقد استنتج من خلال ملاحظته لأبنائه وللأطفال الآخرين في مدرسته أن لديهم مخاوف لا يمكن تفسيرها إلا بالغريزة . وبعد مناقشته للخوف باعتباره ظاهرة شخصية

انتقل إلى مناقشة الجوانب الاجتماعية للخوف . فالمجتمعات المختلفة تعتمد على انفعالي الخزي والعار الذين يوجدان لدى الإنسان لإنتاج مشاعر الشجاعة . وهكذا يتوقع من الإنسان أن يكون رابط الجأش في المعارك ، وأن يبدو شجاعا عند وقوع الزلازل ، ونشوب الحرائق ، وغرق السفن ، وسقوط الطائرات . ولكن راسل يدين استخدام انفعالي الخزي والعار لإنتاج مظهر الشجاعة لأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى صراع بين شعور الإنسان بالمخاوف الحقيقية والخوف من الإدانة الاجتماعية بالجبن . . كما يستنكر راسل الوسائل المستخدمة في تنمية الشجاعة كالرياضة البدنية على أساس أنها تذكي روح التنافس ، وتجعل الإنسان مستعداً دائما للقتال ، وليس خدمة للجنس البشري . إن نوع الشجاعة الذين يريده راسل لا يعتمد على استبعاد أعراض الخوف ، أو تنمية روح المنافسة ، وإنما يبحث عن الشجاعة التي تقوم على احترام النفس ، وتنمية النظرة الموضوعية للحياة ، وتعين على تنمية الحكم المستقل ، والشجاعة في إبداء الرأي ، وغيرها من قيم الاتجاة اليبرالي .

٣ ـ الحساسية :

الحساسية هي العنصر الثالث في قائمة الأهداف العالمية للتربية عند راسل ، وهي الهدف الذي يتحد مع الحب ، الذي هو أحد شرطين للحياة الفاضلة عنده . والشرط الثاني هو المعرفة . إن راسل يرى أن العالم في حاجة إلى الحب بالمعنى النصراني ، الذي يتمثل في قول السيد المسيح عليه السلام : « أحب جارك كما تحب نفسك » ، وأن نتوسع في فهم الجار بحيث يشمل كل إنسان ، وبذلك يمكن للعالم أن يتجنب الوحشية والحسد والطمع والمنافسة وغيرها من الشرور . يقول راسل : « إذا شعرت بهذا (يريد بالحب إزاء كل الناس) يكون لديك دافع للحياة ، ومرشد للسلوك ، وسبب للشجاعة ، وضرورة حاكمة للأمانة العقلية . . إنك إذن تمتلك كل ما يحتاجه الإنسان من الدين »[١٣٦] ومن ثم يرى راسل ضرورة تنمية التعاطف مع الآخرين ـ ليس فقط التعاطف مع أعضاء الأسرة والأصدقاء والأقارب ، وإنما التعاطف المجرد الذي

يستثير الشعور بآلام الإنسان في كل مكان ، لأن هذا الشعور هو الدافع إلى القضاء على أسباب المنازعات والحروب ، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وتجاهل الفقر والمرض والموت وغيرها من المشكلات التي يزخر بها العالم ، وبذلك يمكن تحقيق العالم السعيد الذي نريد . يقول راسل : « إنني أتخيل عالما من البشر السعداء . . . ليس فيه ظالم ولا مظلوم ، عالما من البشر على وعي بأن مصالحهم المشتركة تفوق مصالحهم التنافسية ، ويكافحون من أجل البلوغ إلى الإمكانات العظيمة التي يجعلها الذكاء والخيال البشري ممكنة . إن مثل هذا العالم يمكن أن يوجد لو اختاره البشر وعملوا على تحقيقه . ولو قدر لهذا العالم أن يوجد سيكون لدينا عالم مجيد إلى أقصى درجات المجد ، عظيم إلى أقصى درجات العظمة ، وأكثر سعادة . . . من العالم الذي عرفناه من قبل »[١٣٧] .

٤ـ تنمية الذكاء :

كانت الحيوية والشجاعة والحساسية أهدافا ضرورية لتحقيق التنمية الخلقية . أما تنمية الذكاء فضرورية لتحقيق التنمية العقلية التي تبدأ من سن السادسة وتستمر حتى نهاية التعليم الجامعي . وحينما يتحدث راسل عن الذكاء يعلي من شأن حب الاستطلاع ، وتنمية الاتجاه الليبرالي نحو المعرفة ، لأن المعرفة يمكن نقلها إلى الناشئة دون أن تعين على تنمية الذكاء . ولقد زودنا راسل بعدد من المبادىء الأساسية التي تعين على تحقيق التنمية العقلية ، منها أن المعرفة يجب أن تقدم على نحو لا يعين على تأكيد نتيجة دينية أو خلقية أو سياسية سابقة ، بل تعين على إكساب الفضائل العلمية كالانفتاح العقلي ، والدقة ، والتركيز ، والتسليم بإمكان المعرفة ، واعتبار جميع الآراء مؤقتة حتى يقوم الدليل على صحتها . يقول راسل : « العلم إمبيريقي مؤقت وغير جازم . وجميع المعتقدات الجازمة غير علمية »[١٣٨] ، ويقول في مكان آخر : « أعتقد أنه لا ينبغي لأحد أن يكون على يقين من أي شيء ، فإذا كنت على يقين من شيء فأنت يقينا على خطأ ، ولذلك ينبغي للإنسان أن يضع جميع معتقداته موضع الشك ، وأن يكون قادراً على السلوك بحيوية ونشاط على الرغم من هذا الشك . . . وعلى الإنسان أن يسلك في حياته العملية وفقا لمجموعة من الاحتمالات »[١٣٩] إن راسل يرى

أن المعتقدات الجازمة دون أدلة كافية هي الأسباب المباشرة للمشكلات التي يعاني منها العالم كالتعصب القومي ، والفاشية ، والشيوعية ، وغيرها[١٤٠] ولا يوافق راسل على السير في الشك إلى نهايته ، وإنما يدعو إلى السلوك وفقا لاحتمالات مرجحة ، ولذلك يقول محدداً ما ينبغي أن تقوم به التربية « لا ينبغي للتربية أن تشجع على الجزم أو الشك ، وإنما ينبغي أن تنمي اتجاهات إيجابية كالاعتقاد في أن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأن ما يعتبر معرفة في وقت ما قد يكون خاطئاً ، وحينما نسلك وفقا لمعتقداتنا يجب أن نكون على حذر لأن الخطأ قد يكون قاتلاً[١٤١] والشيء الجدير بالذكر أن ثقة راسل كبيرة في التربية فهي مسئولة عن كل ماهو مقبول ومرذول في الحياة الإنسانية . يقول راسل : « التربية هي التي تخلق تلك الخصائص السيئة (كالحسد والطمع والتحيز) وهي أيضا التي تعين على تنمية الخصائص الحسنة . فالتربية هي مفتاح العالم الجديد »[١٤٢] .

(جـ) محتويات وطرق التعليم :

بعد مناقشة راسل للأهداف العامة للتعليم انصرف إلى بيان المحتويات والطرق التي تعين على تحقيقها في المراحل التعليمية المختلفة . ففي مرحلة الحضانة يفضل راسل نمط التعليم الذي كانت تقدمه مونتسوري ، من تعليم للقراءة والكتابة ، ومبادىء الرسم والغناء والرقص ، وتنمية القدرة على حصر الذهن في عمل متصل[١٤٣] وفيما بين السادسة والرابعة عشرة يفضل راسل تعليم القراءة والتاريخ والجغرافيا ، والأدب ، واللغات القديمة والحديثة ، والعلوم الصحة . وفيما بعد الرابعة عشرة حتى الثامنة عشرة يقترح راسل أن يتعلم الناشئة المواد التعليمية ذات النفع العام كالتشريح وعلم وظائف الأعضاء ، ويسمح بتحصص الطالب في أحد ثلاثة مجالات هي الأداب القديمة ، والرياضيات والعلوم ، والعلوم الإنسانية[١٤٤] .

وفي تعليم تلك التخصصات يفصل راسل استخدام المبادىء والأساليب التقدمية بصفة عامة ، مع العناية بتفريد التعليم ، وتقليل نصيب العمل الجمعي . وفيما يتعلق بالتعليم الجامعي يقترح راسل أن يتخصص الطالب في

أحد المجالات الثلاثة : الأداب القديمة ، أو الرياضيات والعلوم ، أو العلوم الإنسانية . ولقد عنى راسل باقتراح بعض التعديلات في التعليم الجامعي ، وبخاصة في معايير القبول والالتحاق ، وطرق التعليم ، والتنظيم . وفيما يتعلق بالقبول اقترح تعديل الامتحانات بحيث تستبعد ثقافة الحفظ والعمل المضني في المراهقة . وبدلا من المحاضرات اقترح راسل أن يقدم الأستاذ قائمة بالكتب والمراجع للطالب في بداية الفصل ، ويطلب إليه إجراء بحث يعتمد على فهمه للمقرر ، وأن ينظم الأستاذ وقته بحيث يستطيع مقابلة من يرغب في مقابلته من الطلبة . وفيما عدا ذلك يتفرغ الاستاذ للقراءة وتعلم ما هو جديد في ميدان تخصصه . ونحن لا نرى جديدا في برنامج راسل التعليمي ولا نوافق على أسلوبه المقترح لتعليم الطالب الجامعي ، لأننا نشعر أن الطالب الجامعي مايزال في حاجة إلى أستاذ يرشده إلى كيفية القراءة المستقيمة ، ويعينه على فهم ما يستغلق عليه فهمه . وفي حاجة أيضا إلى جو اجتماعي مناسب للنمو. ومهما يكن من شيء فإن الأسلوب الذي يقترح راسل للتعليم الجامعي موافق أشد الموافقة لاتجاهاته الليبرالية ، التي تؤكد على الاستقلال والحرية والفردية .

(د) مدرسة بيكون هل :

أسس راسل وزوجته « دورا » مدرسة داخلية لطفليهما « جون » و« كيت » وحوالي عشرين طفلا آخرين ، في « تليجراف هاوس » بالقرب من « هارتنج » التي تبعد حوالي خمسين ميلا جنوبي لندن . وكان الغرض الأساسي من إنشاء تلك المدرسة توفير الحرية للناشئة ، وتجنب كل ما يتعرضون له من عوامل الكبت ، وقامت المدرسة على أساس الجمع بين المنهج التقليدي والممارسات التربوية التقدمية في انجلترا . ويذكر راسل[١٤٥] أن الغرض من إنشاء تلك المدرسة هو مساعدة الأطفال على أن يفكروا لأنفسهم ، ويتغلبوا على المشكلات التي تصادفهم في عالم دائم التغير . ومعنى ذلك أن راسل حدد نمط الفرد الذي يحتاج إليه العالم الجديد ، وأسس مدرسته لإعداد هذا الفرد . وترجع أسس تلك المدرسة إلى سلسلة من المحاضرات التي قدمها راسل في عام ١٩١٥ ، وطبعت

في كتـابه « مبادئ إعادة بناء التنظيم الاجتماعي »[١٤٦] واستطاع راسل في تلك المحاضرات أن ينمي فلسفة سياسية تقوم على الاعتقاد في أن الدوافع أهم من الرغبات أو الأهداف الواعية في حياة الناس . فالرغبة ـ التي هي مصدر الأفعال الشعورية ـ لا تحكم إلا قطاعا صغيراً من النشاط الإنساني . وبالرغم من اعتقاد راسل في أن الدافع أعمى ، وأن الدوافع العمياء تقود إلى الموت والفناء ، لم يشأ أن ينكر أهمية الدوافع الإنسانية لأنها مصدر الأشياء العظيمة التي توجد في العالم كالعلم والفن والحب . ومن ثم اقـترح راسـل استبـدال المؤسسات الاجتماعية القائمة بمؤسسات أخرى تعين على تنمية الدوافع الخلاقة ، وتشجيع قيم الحرية والفردية واحترام حقوق الآخرين . واستعان راسل بتلك الأفكار ـ مضافة إلى أفكاره المستمدة من سلوكية واطسن ، والتحليل النفسي ، والتجريب التربوي ـ على تأسيس مدرسـته التي تقوم على أساس احترام حقوق الأطفال في العملية التعليمية . وكـان مفهـوم الاحـترام هذا مدعـاة لتـبرير وجود كثير مما وجد في مدرسـته ، واعتبر تغيرا راديكاليا . وعلى سبيل المثال ، كانت المدرسة مؤسسة ديمقراطية يحكمها مجلس مؤلف من المعلمين والأطفال البالغين من العمر خمسة أعوام فأكثر . وكان لكل عضو في المجلس حق المشاركة في وضع القواعد المنظمة للنوم والراحة ، والاغتسال والنظافة ، والسلوك المناسب بصفة عامة ، وكانت الخاصية الثانية للمدرسة تمتع الأطفال بالحرية الكاملة في التفكير والتعبير ، فلم توضع قيود على اختيار الكلمات أو الموضوعات . وسار مع حرية التفكير والتعبير إثارة الفضول العلمي ، والاهتمام بتمية القدرات اللغوية . واختار راسل لمدرسته طائفة من المعلمين الذين لم يسبق لهم الاشتغال بالتعليم في المدارس التقليدية ، ويتميزون بحب الأطفال والرغبة في التمتع بقدر كبير من الحرية في أداء أعمالهم . وفي ظل هذه الشروط الإنسـانية درست المقـررات التقليدية كالقـراءة والعلوم والحسـاب والتـاريخ والجغـرافيا والأدب واللغـات كالألمـانية والفرنسية . ولقد استخدمت طرق متنوعة في التعليم تشترك في مراعاة الفروق الفردية والاعتماد على حاجات الأطفال . وفي البداية استخدم المعلمون ميول التلاميذ كنقطة بداية للتعليم ، وفيما بعد قدموا موضوعات معينة للتلاميذ مع بيان فائدتها لهم . إن

أكمل وصف لتلك المدرسة يوجد في مقالتي دورا راسل[١٤٧] وشيرلي جاسبرسون[١٤٨] ونوصي من يرغب في معرفة المزيد عن المدرسة بالرجوع إليهما .

لقد أنشا راسل « بيكون هل » لتكون مدرسة تجريبية لاختبار أفكاره التربوية ، وتحقيق أهدافه التي تمثلت في إعداد أفراد قادرين عقليا ومستقلين فكريا ، وراغبين في خلق عالم أفضل . ونحن لا نستطيع أن تقدر مبلغ نجاح « بيكون هل » في تحقيق تلك الأهداف . غير أن راسل[١٤٩] أقر بإخفاق المدرسة في تحقيق أهدافه ، وقدم عدة أسباب لإخفاقها لا علاقة لها بفكره التربوي وهي :

١ ـ قلة مصروفات التلاميذ مما أوقع المدرسة في مشكلات مالية واضطر راسل إلى السفر إلى أمريكا والاشتغال بالكتابة الصحفية تدبيراً للمال اللازم للإنفاق على المدرسة .

٢ ـ قلة تعاون المعلمين وعدم سلوكهم وفقا للمبادئ والتعليميات التي حددها راسل ودورا .

٣ ـ كان بعض الأطفال مشكلين وفي حاجة إلى نظام أكثر صرامة لضبط سلوكهم .

٤ ـ لم يكن راسل نفسه إداريا ناجحا ولم تكن إدارة الناس أسلوبا مقبولاً في حياته .

سادساً : ملاحظات أخرى على راسل :

بالإضافة إلى الملاحظات الفنية التى أبديناها على أفكار راسل ، هناك ملاحظات عامة نود لفت انتباه القارئ إليها تتمة للفائدة ، ومن هذه الملاحظات العامة ما يلي :

١ ـ يبدو من العرض السابق أن لراسل فكراً نظريا وعملياً متميزا ، وأن هناك اتساقاً واضحا بين فكره النظري وفكره العملي ، على خلاف ما يذهب إليه بعض النقاد من انعدام الصلة بين هذين النوعين من الفكر في فلسفة راسل . ولقد بينا أن النزعتين الليبرالية والإمبيريقية (وهما مرتبطان في

التقاليد الفلسفية) هما الخيط الذي يربط بين فلسفته النظرية وفلسفته العملية .

(٢) دعا راسل إلى تطبيق مبادئ الطريقة العلمية على دراسة الموضوعات الفلسفية ، وأكد أهمية استخدام نصل أوكام ولم يلتزم بتلك القواعد في كل أعماله . كما أن تكراره للكثير مما كتب في أعمال لاحقة أدى إلى تكثير كتبه ومقالاته دون ضرورة وهو أمر يتعارض مع ما يقضي به نصل أوكام . ولقد أدى هذا التكرار إلى وقوع راسل في التناقض أكثر من مرة لأنه كان كثير التغيير لآرائه وأفكاره . وعلى سبيل المثال ، انتقد راسل برجسون لخلطه بين الذات والموضوع ، ثم غير راسل رأيه بعد تبنيه للواحدية المحايدة . وفي كتابة تاريخ الفلسفة أعاد طبع نقده لبرجسون بالحرف الواحد رغم أنه امتدح وليم جيمس في الفصل التالي مباشرة لأنه أنكر وجود أي فرق أساسي بين الذات والموضوع .

٣ - لم يهتم راسل بتحقيق التماسك الاجتماعي قدر اهتمامه بتنمية الفردية ، ونظر إلى قضيتي الفرد والمجتمع في استقلال بعضهما عن بعض . والتربية الحقة لا تعني بإعداد الفرد فقط وإنما تعنى كذلك بإعداد المواطن . حقا إن راسل أراد التوفيق بين الفرد والمجتمع ، ولكن توفيقه اعتمد أساساً على استبعاد الدولة للضرر الواقع على التربية . إن راسل أعلى من شأن الفردية وأراد أن يحققها بأي ثمن حتى ولو كان ذلك على حساب المجتمع ، كما أنه أغفل الطابع الاجتماعي للذات الفردية وقلل من أهمية التعاون في النمو الفردي .

٤ - بالرغم من قبولنا لكثير من أفكار راسل فيما يتعلق بتأثير الدين في التربية فإننا لا نقبل تأكيده على أن النصرانية لم تصبح إنسانية إلا بفضل جهود المفكرين الليبراليين[١٥٠] لأنه لم يكن عادلا في موقفه من النصرانية ، وأغفل الكثير من المواقف الإنسانية الرائعة التي بدت في فكرة الأخوة العالمية ، والعناية بالمرضى والعجزة والأيتام والأرامل والمطلقات ، ومعارضة تجارة العبيد والتفرقة العنصرية وغيرها .

٥ ـ يقتصر إسهام راسل في التربية على تقديم صورة إنسانية راقية للحياة الكريمة الفاضلة ، ومحاولة استبعاد تلك العناصر التي تؤثر سلباً على نمو الشخصية من المؤسسات الاجتماعية ، والثقة الزائدة في قدرة التربية على الإصلاح والإفساد . أما طرقه وأساليبه التربوية فكانت مستمدة من أفكار الرواد الأوائل وبخاصة واطسن وفرويد ومونتسوري ولم يأت بجديد في هذا المجال .

هوامش الدراسة

١ ـ محمد مهران : فلسفة برتراند راسل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٣ .

2 – Russell, B., «On the Notion of Order » Mind, Vol. 10. 1901, pp. 30–51.

٣ ـ برتراند راسل : صور من الذكرة ومقالات أخرى ، (ترجمة أحمد إبراهيم الشريف) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص.١٤ .

٤ ـ نفس المصدر ، ص ١٠ .

٥ ـ ألان وود : برتـرانـد راسل بين الشك والعاطفة (ترجمة رمسيس عوض) ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٦ .

٦ ـ براتدند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

٧ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، مرجع سابق ، ص ١١ .

٨ – نفس المصدر ، ونفس المكان .

9 – Russell, B., The Autoliography, Op. Cit., Vol. 1, p. 15.

10 – Ibid., pp. 15–16.

١١ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

١٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٣ .

13 – Russell, B., The Autobiography, PO. Cit., Vol.I, 21.

١٤ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ومقالات أخرى ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

١٥ ـ نفس المصدر ، ص ١٢٧ .

١٦ ـ نفس المصدر ، ص ١٢٨ .

١٧ ـ نفس المصدر ، ص ٧ .

18 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cit., Vol. I, p. 28.

19 – Ibid., p. 31.

٢٠ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك وا لعاطفة ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

21 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cit., Vol. I.P. 36.

22 – Ibid., P. 55.

٢٣ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ومقالات أخرى ، مرجع سابق ، ص ٨ .

24 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cit., Vol. I, P. 38.

٢٥ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

26 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cit., Vol. I, P. 22.

27 – Ibid., P. 29.

٢٨ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

٢٩ ـ برترادن راسل : صور من الذاكرة ومقالات أخرى ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

٣٠ ـ ألان وود : برتراند راسل بين الشك والعاطفة ، مرجع سابق ص ٤٠ .

٣١ ـ نفس المصدر ، ص ٤١ .

٣٢ ـ نفس المصدر ، ص ١١٠ .

33 – Russell, B., The Autobiography. Op. Cit., Vol. I, P. 24.

34 – Ibid., P. 56.

٣٥ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٨ .

٣٦ ـ نفس المصدر ونفس المكان .

37 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cot., Vol. I, P. 74.

٣٨ ـ برترادن راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

٣٩ – ألان وود : براتراند راسل ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

٤٠ ـ برتراند راسل : صور من الذكرة ، مرجع سابق ص ٢٢ ـ ٢٣ .

٤١ – نفس المصدر والمكان .

٤٢ – نفس المصدر والمكان .

43 – Russell, B., The Autobiography, Op. Cit., Vol. 2, P. 17.

44 – Ibid., P.40 .

٤٥ – محمد مهران : مرجع سابق ، ص ص ٥-٦ .

46 – Ibid., Vol. 3, 1969, P. 182.

٤٦ ـ برتراند راسل : صور من الذكرة مرجع سابق ، ص ٢٣ .

47 – Russell, B., My Philosophical Development, London: Unwin Books, 1975, P.31.

48 – Ryle, G. « Bertrand Russell: 1872 – 1970 » in G. Roberts (ed.), Bertrand Russell Memorial Volume, London : Allen & unwin, 1979, P. 19.

49 – O'Connor, D., " Russell,s Theory of Perception " in G. Robert, Bertrnd Russell Memorial Volume, Ibid., pp. 304 – 320 .

٥٠ ـ محمد مهران : فلسفة برتراند راسل : مرجع سابق .

٥١ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

52 – Russell, B., The Autobiography, Vol., 3, Op. Cit, PP. 220 – 221.

53 – Russell, B., Philosophical Essays, London: Allen & Unwin, 1984, P. 148.

54 – Russell, B., My Philosophical Develment, Op. Cit., P. 10.

55 – Russell, B., Introduction To Mathematical Philosophy, London: Allen & Unwin, 1920.

56 – Ibid., P. 70.

57 – Ibid .

٥٨ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ص ١٨٠ .

59 – Russell, B., The Problems of Philosophy, London: Oxford Univ. Press, 1978.

60 – Russell, B., Philosophical Essas, Op. Cit.

61 – Ibid., P. 148.

62 – Ibid., 149.

٦٣ ـ ألان وود : برتراند راسل ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

64 – Russell, B., Our Knowledge of External World, 2ed ed., London: Allen, 1926.

٦٥ ـ برتراند راسل : صور من الذكرة ، ص ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

66 – Russell, B., An Inquiry Into Meaning and Truth, London: Unwin Paperbacks, 1987.

67 – Russell, B., The Prohlems of Philosophy,Op. Cit, P. 4.

68 – Ibid.

69 – Ibid, P. 2.

70 – Ibid.

71 – Ibid, PP. 2 – 3.

72 – Ibid., PP. 3 – 4.

73 – Russell, B., My Philosophical Development, Op. Cit., P.16.

74 – Russell, B., The Problems of Philosophy, Op. Cit., P.9.

75 – Russell, B., Mysticsm and Logic, London : Allen, 1963, Pp. 112 – 113.

76 – Russell, B., The Problems of Philosophy, Op. Cit., PP. 27 – 28.

77 – Russell, B., The Analysis of mind, London: Allen 1921.

٧٨ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ص ص١٧٣ ـ ١٧٥ .

79 – Russell, B., The Prohlems of Philosophy. Op. Cit.,

80 – Russell, B., Human Knowledge, London : Allen, 1948.

٨١ ـ ألان وود : برتراند راسل ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

٨٢ ـ برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

٨٣ - نفس المصدر ، ص ١٦ .

84 – Ayer, A.,Russell and moore: The Analyical Heritage, London : Macmillan, 1971.

٨٥ - برتراند راسل : صور من الذاكرة ، مرجع سابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

86 – Russell, B., German Social Democracy, London, Allen, 1965.

87 – Russell, B., The Practice and Theory of Bolshevism, London : Allen, 1920.

٨٨ - برتراند راسل ، صور من الذاكرة ، مرجع سابق ص ١١ .

٨٩ - نفس المصدر ، ص ١٢ - ١٣ .

90 – Russell, B., Unpopular Essays, New York: Simon, 1950.

91 – Russell, B., Power, London, Allen, 1938.

92 – Russell, B., Sceptical Essays, London : Unwin 1977, P, 11.

93 – Russell, B., History of Westem Philosophy, New York : Simon, 1945.

94 – Russell, B., Power, Op. Cit., P.21.

95 – Russell, B., Roads to Freedom, London : Unwin Books, 1966, P. 97 .

96 – Russell, B., The Pracitce and Theory of Bolshevism, Op. Cit., P, 82 .

97 – Russell, B., Why Men Fight : A Method for Abolishing the International Duel, New York: The Century Co., 1917, P. 20.

98 – Russell, B., Political Ideals, London : Unwin Paperbacks, 1977, P. 13 .

99 – Russell, B., Why Men Fight, Op. Cit., P. 23.

100 – Ibid., P. 25 .

101 – Ibid., P. 222 .

102 – Ibid., P. 250

103 – Russell, B., Authority and the Individual, London, Unwin Paperbacks, 1988., p. 12.

قامت لطيفة عاشور بترجمته تحت عنوان « السلطة والفرد الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

104 – Russell, B., Political Ideals, Op. Cit., PP. 10 – 11.

105 – Ibid., P. 11.

106 – Russell, B., Authority and the Individnal, Op. Cit., Lesture 2.

107 – Russell, B., Principles of Social Reconstruction, London :Unwin Paperbacks, 1980.

108 – Russell, B., Human Socilty in Ethics and Politics, London : Allen, 1954, P. 8.

109 – Russell, B., Philosophical Essays, OP. Cit., P. 30.

110 – Ibid., P. 31.

111 – Ibid., P. 37.

112 – Idid., PP., 38–39.

113 – Russell, B., Human Society in Ethics and Politics, Op. Cit., P. 115.

114 – Russell, B., An Outhine of Philosophy, London Allen, 1927. P. 238.

115 – Russell, B., The Autobiography, Vol. 3. Op. Cit., P. 60.

116 – Russell, B., Educaion as a palitical Institution' Atlantic Monthly, CXVII, June 1916, PP. 750 – 57.

١١٧ ـ برتراند راسل : في التربية ، (ترجمة سمير عبده) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

١١٨ ـ برتراند راسل : التربية والنظام الاجتماعي (ترجمة سمير عبده) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ١٩٧٨ .

119 – Park, J., Bertrand Russell on Education. London, Allen, 1946.

120 – Egner, R (ed.) Bertrand Russell's Best' London, Unwin Paprtbacks, 1987, P. 48.

121 – Ibid., P. 39.

١٢٢ ـ برتراند راسل : في التربية ، مرجع سابق .

123 – Egner, R. (ed.) Bertrand Russell's Best, Op. Cit., P. 142.

124 – Ibid., P. 143.

125 – Ibid., P. 151.

١٢٦ ـ برتراند راسل : التربية والنظام الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

١٢٧ ـ برتراند راسل : الزواج وأخلاقيات الجنس (ترجمة نظمي لوقا) ، مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

128 – Russell, B., " Proposals for an International University " The Fortnightly, Vol. CL VII July, 1942, PP. 8 – 16.

١٢٩ ـ برتراند راسل : في التربية ، مرجع سابق .

١٣٠ ـ نفس المصدر ، ص ٤٧ .

١٣١ ـ نفس المصدر ، ونفس المكان .

١٣٢ ـ نفس المصدر ، ونفس المكان .

133 – Russell, B., The Scientitic Outlook, London, Allen, 1931, P. 170.

١٣٤ - برتراند راسل : في التربية ، مرجع سابق ص ٤٨ .

١٣٥ - نفس المصدر ، ص ٤٩ .

136 – Russell, B., The Impact of Seience on Society, London: Allen, 1952, P. 114.

137 – Wyatt, W., Bertsand Russell Speaks: The BBc Interviews The Humanist, Nov./Des, 1982, P. 58.

138 – Russell, B., Unpopular Essays, Op. Cit., P. 16.

139 – Wyatt, W., Bertrand Russell Speaks, Op. Cit., P. 40.

140 – Russell, B., Education and the Good Life, Now York : Liveright Publishing Co. 1926, P. 289.

141 – Ibid., P. 52.

142 – Ibid., 83.

١٤٣ - برتراند راسل ، في التربية ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

١٤٤ - نفس المصدر ، ص ١٩١ .

145 – Ruseel, B., " In Our Schools " New Republic, Vol., 68, Sept., 9, 1931, P. 92–24.

146 – Russell, B., Principles of Social Reconstruction, Op. Cit.

147 – Russell, D., Beacon Hill in Blewitt, T. (ed.) The Modern School Handbook, Landon: Victor Gollancy, 1934, PP. 29 – 42 .

148 – Jesperson, S., " Inside Beacon Hill: Bertsand Russell as an Schoolmaster " The educational Forum, Vol. 52, No.1, Fall, 1987, PP. 59 –42.

149 – Russell, B., The Autobiography, Vol.2. Op. Cit., Pp. 53 – 56.

150 – Russell, B., Why I am Not Christian and Other Essays, Now York, 197, P. 176.